الدراسات الأدبية

للأستاذ الدكتور

محمد أبو الفضل بدران

Error!

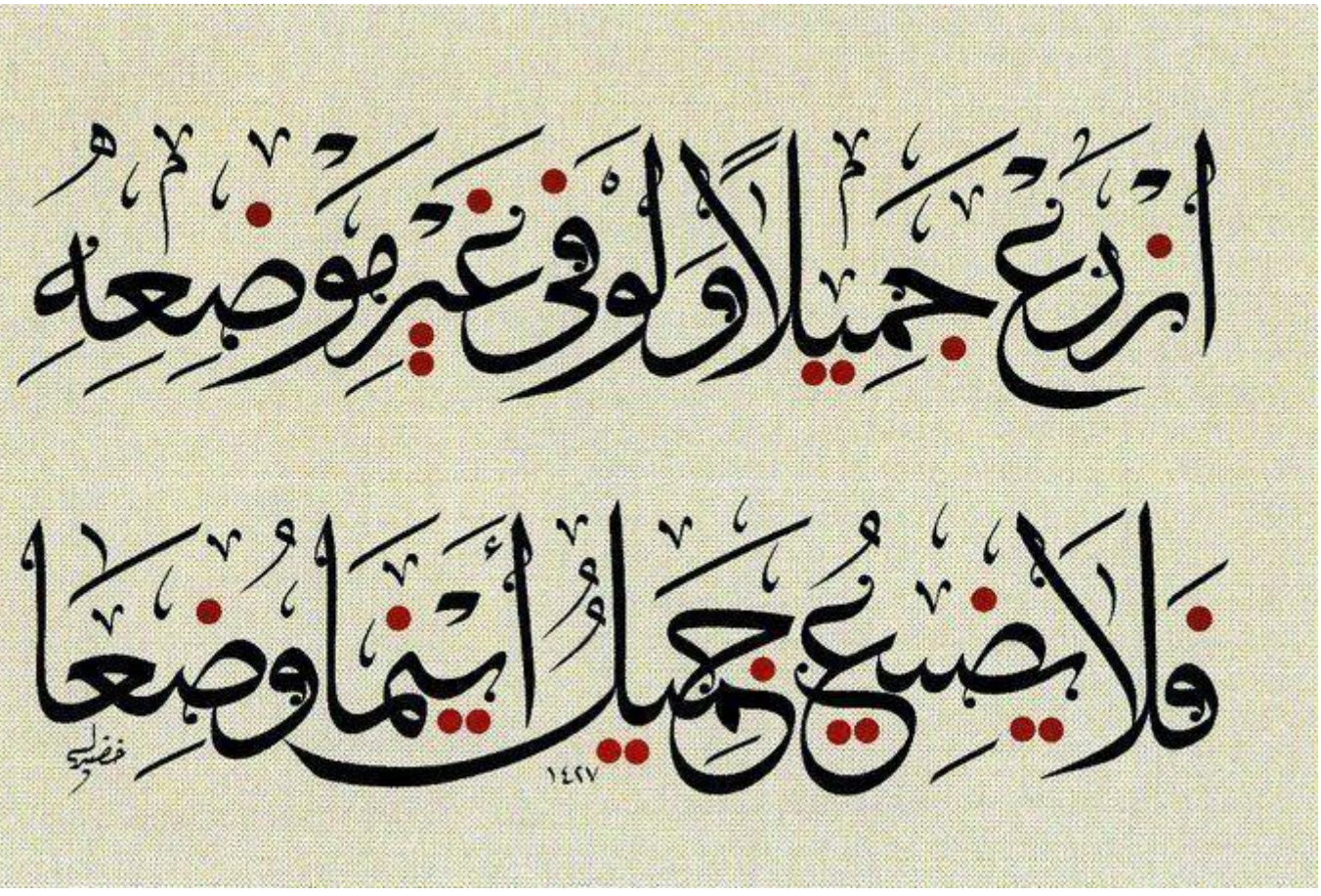

أسس بناء القصيدة:

1. مطلع القصيدة:

أن يكون واضحا سهل المأخذ، لا تعقيد في تركيبه ، ولا صعوبة في فهم معناه ، وألا يكون كقول أحد الشعراء في استفتاح قصيدة في مدح ملك يريد أن يلقاه بها أول لقية:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وفي الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا ما فيه من الطيرة، التي تنفر منها السوقة، فضلاً عن الملوك.

حكى الصاحب قال: ذكر الأستاذ الرئيس يوماً الشعر، فقال: وإن أول ما يحتاج فيه إليه حسن المطلع، فإن ابن أبي الشباب أنشدني في يوم نيروز قصيدة ابتداؤها:

أقبر وما طلت ثراك يد الطل؟"

فتطيرت من افتتاحه بالقبر وتنغصت باليوم والشعر، فقلت: كذاك كانت حال ابن مقاتل لما مدح الداعي بقوله:

لا تقل بشرى ولكن بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان

فإنه نفر من قوله "لا تقل بشرى" أشد نفار، وقال: أعمى وتبتدئ بهذا في يوم مهرجان؟!

2. حسن التخلص

" وهو الخروج ممَّا ابتدئ به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود، مع رعاية الملاءمة بينهما، وهو قليل في كلام المتقدمين. وأبدع ما أوردوه لهم قول زهير بن أبي سلمى:

إنَّ البخيلَ مَلوم حيثَ كانَ ول كنَّ الجَوَاد على عِلاّتِهِ هَرِمُ

ومنه قول الفرزدق:

وركبٍ كأنَّ الرِّيح تطلب عندهم لها تِرَةً من جذبها بالعصائب

سَرَوْا يخبطون اللَّيل وهي تلفّهم إلى شعب الأَكوار من كلِّ جانب

إذا آنسوا ناراً يقولون ليتها وقد خَصِرَتْ أيهديهمُ نار غالب

وقول أبي نواس يمدح الخصيب صاحب مصر:

تقول التي من بيتها خف محملي يعزُّ علينا أن نراكَ تسيرُ

أَما دون مصر للغنى مُتَطَلَّبٌ بلى إنَّ أسباب الغنى لكثيرُ

فقلت لها واستعجلتها بوادر جرت فجرَى في إثْرِهنَّ عَبيرُ
دعيني أكثر حاسديك برحلةٍ إلى بلدٍ فيه الخصيب أميرُ
إذا لم تطأ أرض الخصيب ركابنا فأيّ فتى بعد الخصيب نزورُ
فتى يشتري حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدورُ
فما جازه جود ولا حلَّ دونه ولكن يصير الجود حيث يصيرُ

3. حسن المقطع:

ويسمى الانتهاء وهو آخر البيت أو آخر القصيدة

ومن حسن المقطع جودة الفاصلة وحسن موقعها وتمكّنها في موضعها، وأن يختم الناظم أو الناثر كلامه بأحسن خاتمة،لأنه آخر ما يعبه السامع ويرتسم في النَّفس. ومثله:

وإنِّي خليق من نداكَ بمثلها وأنتَ بما أَمَّلتُ منكَ خليقُ

ومنها أن يضّيق على الشاعر موضع القافية، فيأتي بلفظ قصير قليل الحروف فيتمم به البيت، كقول زهير:

وأعلمُ ما في اليوم والأمس قبله ولكنّني عن علمِ ما في غدٍ عمِى

وقال الأعشى:

وكأس شربتْ على لذَّة وأخرى تداويتُ منها بها

وقول امرئ القيس:

مكرّ مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطّه السّيلُ من عل

وقول النابغة:

زعمَ الهمامُ ولم أذقه أنه يشفى ببرد لثاتِها العطشُ الصَّدى

وقول الأعشى:

فظللتُ أرعاها وظل يحوطُها حتى دنوتُ إذا الظلامُ دنَا لها

وقول النابغة:

لا مرحبا بغدٍ ولا أهلا به إن كان تفريقُ الأحبة في غدِ
أفدَ الترحلُ غير أن ركابنا لما تزلْ برحالنا وكأن قد

وقال ابن رشيق القيرواني:"ومن العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة، وفيها راغبة مشتهية، ويبقى الكلام مبتوراً كأنه لم يتعمد جعله خاتمة: كل ذلك رغبة في أخذ العفو، وإسقاط الكلفة، ألا ترى معلقة امرئ القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل عن شدة المطر:

كأن السباع فيه غرقى غدية بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات، وهي أفضلها.

4. وحدة البيت:

جعل معظم النقاد القدامى وحدة البيت أساسا من أسس بناء القصيدة؛ ويقصدون بذلك أن يكون البيت مستقلا بمعناه دون حاجة إلى البيت التالي ، وقد ذكر أبو هلال العسكري أن من شروط البيت الجيد ألا يكون مضمّنا: والتضمين أن يكون الفصل الأوّل مفتقراً إلى الفصل الثاني، والبيتُ الأول محتاجاً إلى الأخير كقول الشاعر:

كأنَّ القلب ليلة قيل يغدى بليلى العامريّة أو يراحُ

قطاةٌ غرّها شركٌ فباتتْ تجاذبهُ وقد علقَ الجناحُ

فلم يتمّ المعنى في البيت الأول حتى أتمّه في البيت الثاني، وهو قبيح"

وكلام العسكري السابق وحكمه لا يُقبل لأن التضمين من أسس بناء القصيدة وسبكها سبكا واحدا ، ولعل في جمال البيتين السابقين ما يؤكد فساد حكم أبي هلال العسكري.

5. وحدة القصيدة

ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء:" قال أبو محمد: وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظغن على خلاف ما عليه نازلة المدر، لانتقالهم عن ماءٍ إلى ماءٍ، وانتجاعهم الكلأ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان. ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة، والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريبٌ من النفوس، لأئطٌ بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد أحدٌ يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسببٍ، وضارباً فيه بسهمٍ، حلالٍ أو حرامٍ، فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحل الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا

علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء، وذمامة التأميل وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح، فبعثه على المكافاة، وهزه للسماح، وفضله على الأشباه، وصغر في قدره الجزيل.

فالشاعر المجيد من سلك هذه الأسالب، وعدل بين هذه الأقسام، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر، ولم يطل فيمل السامعين، ولم يقطع وبالنفوس ظمآءٌ إلى المزيد".

6. الوزن:

لا يختار الشاعر الفحل بحر قصيدته العروضي وإنما يأتي عرضا ، كما لا نجد عند الشاعر الفرد المبدع حشوا تطلّبه الوزن دون المعنى. وليس لبحر عروضي ميزة دون آخر ، وليس للأغراض الشعرية بحور دون سواها.

قال ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة:ينبغي " وضع الألفاظ موضعها أن لا تقع الكلمة حشوا، وأصل الحشو أن يكون المقصد بها اصلاح الوزن أو تناسب القوافي وحرف الروى إن كان الكلام منظوما، وقصد السجع وتأليف الفصول إن كان منثورا من غير معنى تفيده أكثر من ذلك وهذا الباب يحتاج إلى شرح وبيان، وتفصيله أن كل كلمة وقعت هذا الموقع من التأليف فلا تخلو من قسمين إما أن تكون أثرت في الكلام تأثيراً لولاها لم يكن يؤثر أو لم تؤثر بل دخولها فيه كخروجها منه، وإذا كانت مؤثرة فهي على ضربين أحدهما أن تفيد فائدة مختارة يزداد بها الكلام حسنا وطلاوة، والآخر أن تؤثر في الكلام نقصا وفي المعنى فساداً. والقسمان مذمومان والآخر هو المحمود وهو أن تفيد فائدة مختارة، ولكل من ذلك مثال فمثال الكلمة التي تقع حشوا وتفيد معني حسناً قول أبي الطيب:

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك فانياً

لأن حاشاك ها هنا لفظة لم تدخل إلا لكمال الوزن، لأنك إذا قلت احتقار مجرب يرى كل ما فيها فانياً كان كلاماً صحيحاً مستقيما، فقد أفادت مع اصلاح الوزن دعاءً حسنا للممدوح في موضعه. ومثله قول أبي محلم:

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

لأن وبلغتها تجرى مجرى وحاشاك في الفائدة، ولو ألغيت من البيت لصح المعنى دونها على حد ما قلناه في البيت الأول، وليس يخفى على المتأمل حسن المقصود بحاشاك وبلغتها في هذين الموضعين وكذلك أيضاً قول أبي الطيب:

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بأنك خالد

لأن قوله لهنئت الدنيا بمنزلة الحشو إذ كان المعنى يتم من دونه ولو استوى له أن يقول نهبت من الأعمار ما لو حويته لخلدت في الدنيا لكان المعنى مستقيما لكنه لما احتاج إلى ألفاظ يصح بها الوزن جاء بقوله لهنئت الدنيا، فأتى بزيادة من المدح وفضلة من التقريظ والوصف لاخفاء بحسن موقعها فهذا وما اشبهه هو الحشو المحمود المختار"

وينبغي قبل الحكم على فساد اللفظه أو جعلها حشوا أن نفهم معناها ودلالتها ، فربما قصدها الشاعر قصدا ، ففي قوله "لهنئت الدنيا" دلالة على عدل الممدوح ونشره الخير والبشرى وعلى هذا فالدنيا جديرة بالتهنئة لأنه خالد بها.

ومن الحشو المستكره ما أتى ليتم الوزن ، كقول الأعشى:

فأصبت حبة قلبها وطحالها

ولولا الوزن لاكتفى بقوله: فأصبت حبة قلبها،

7. القافية

قال ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: "التمكين، وهو أن يمهد الناثر لسجعة فقرته، أو الناظم لقافية بيته، تمهيداً تأتي القافية به متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى البيت كله تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت من البيت اختل معناه واضطرب مفهومه، ولا يكون تمكنها بحيث يقدم لفظها بعينه في أول صدر البيت، أو معنى يدل عليها في أول الصدر، أو في أثناء الصدر، ولا أن يفيد معنى زائداً بعد تمام معنى البيت"

عُلوٌّ في الحياةِ وفي الممات[1]

لأبي الحسن الأنباري

قال أبوالحسن الأنباري في رثاء الوزير أبي الطاهر محمد بن بقية بعدَما قُتِل وصُلِب:

1. عُلوٌّ في الحياةِ وفي المماتِ بحقٍ[2] أنتَ إحدى المعجزاتِ
2. كأنَّ الناسَ حولكَ حينَ قاموا وُفودُ نَدَاكَ أيام الصِّلات[3]
3. كأنَّكَ قائمٌ فيهم خطيباً وكلُّهمُ قِيـــــامٌ للصلاةِ
4. مَدَدْتَ يديْكَ نحوهمُ احتفاءً كمدِّهما إليـهمْ بالهبات
5. ولما ضاقَ بطنُ الأرضِ عن أنْ يَضمَّ عُلاك من بعد المماتِ
6. أعاروا الجوَّ قبرَكَ واستعاضوا عن الأكفانِ ثوبَ السَّافيات[4]
7. لِعِظْمِكَ في النفوسِ تبيتُ تُرْعى بِحُرَّاسٍ وحُفَّاظٍ ثقات[5]
8. وتُشْعَل عندكَ النيرانُ ليلا كذلكَ كنتَ أيام الحياةِ
9. ركبتَ مطيَّةً ، مِنْ قبلُ زيْدٌ[6] علاها في السنين الماضياتِ
10. وتلكَ فضيلةٌ ، فيها تأس تباعدُ عنكَ تعيير العداةِ[7]
11. ولم أر قبلَ جِذعكَ قطّ جِذعاً تمكَّنَ من عِناقِ المكرماتِ[8]
12. أسَأْتَ إلى النوائبِ[9] فاستثارتْ فأنتَ قتيلُ ثأْرِ النائباتِ[10]
13. وكنتَ تُجيرُ من صرفِ الليالي فعادَ مطالباً لك بالتّراتِ[1]

---

[1] اختيار ونقد الدكتور محمد أبوالفضل بدران

[2] في رواية أخرى "لَحَقٌّ)

[3] الصلات : العطايا والجوائز

[4] السافيات : الرياح

[5] أورد الصفدي البيت : لِعِظْمِكَ في النفوسِ تبيتُ تُرْعى بِحُفَّاظٍ وحُرّاسٍ ثقاتِ
الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك) :الوافي بالوفيات ج1 ص 100–103 تحقيق هلموت ريتر ، ط.فرانز اشتاين فيسبادن ، ألمانيا 1962

[6] يعني زيْد بن علي زين العابدين بن الحسين ظهر في أيام هشام بن عبد الملك ، فبعث إليه يوسف بن عمر الثقفي فهزمه وقُتِل وصُلب.

[7] أورد عبدالقاهر الجرجاني هذا البيت والبيت الذي سبقه.

[8] هذا البيت والأبيات الأربعة إضافة في الوفيات والوافي ، وورد هذا البيت في نهاية الأرب أيضاً .

[9] في أسرار البلاغة الحوادث وهي النوائب

[10]أورد الصفدي هذا البيت في الوافي بالوفيات ج 1 ص 102

14. وصيَّرَ دهرُك الإحسانَ فيه إلينا من عظيمِ السيئاتِ
15. وكنتَ لمعشرٍ سعداً فلما مضيتَ تفرَّقوا بالمنحَساتِ
16. غليلٌ باطنٌ لك في فؤادي يخفَّفُ بالدموعِ الجارياتِ[2]
17. ولو أني قدَرْتُ على قيامي[3] بفرضكَ والحقوق الواجباتِ
18. ملأتُ الأرضَ من نظمِ القوافي ونُحْتُ بها خلال[4] النائحاتِ
19. ولكنّي أصبِّرُ فيكَ نفسي مخافةَ أنْ أُعدَّ من الجُناةِ
20. ومالَكَ تربةٌ فأقولُ تُسْقى لأنكَ نصب هَطل[5] الهاطلاتِ
21. عليكَ تحية الرحمن تتْرى[6] برحماتٍ غَواد[7] رائحات[8]

الشاعر :

يعد أبوالحسن الأنباري[9] من الشعراء العباسيين ، وهو أبوالحسن (أبوبكر) محمد بن عمر بن يعقوب الأنباري ، كان من العدول ببغداد ، لا يعلم له كثير شيء غير مرثيته هذه وثانية في ابن بقية أيضاً.

وأما ابن بقية فهو أبوطاهر محمد بن محمد بن بَقِيَّة وزير المطيع العباسي وعزّ الدولة البُويهيّ ؛ وقد لُقِّب بنصير الدولة ، "وهو الذي حضَّه على محاربة عضد الدولة[10] ولما كُسِر عز الدولة قبض

---

[1] الثأر

[2] السابق

[3] في رواية : قيامٍ

[4] في رواية أخرى "خلافَ النايحاتِ"

[5] الهطل : المطر المتتابع

[6] تترى : يقال : جاءُوا تترى : متواترين ، [وأصله : وَتْرى] المعجم الوسيط.وتعرب حالاً منصوبة بالفتحة المقدّرة.

[7] غوادٍ : مفردها غادية وهي السحابة تنشأ فتمطر غُدوةً.

[8] مطر العَشِيّ وتقابلها الغادية

[9] يُنظر في ترجمته منفصلاً أو في معيَّة ابن بقية : وفيات الأعيان ؛ الوافي بالوفيات ؛ نهاية الأرب ؛ يتيمة ؛ ديوان المعاني ، تجارب الأمم ، كنز الدرر ؛ تاريخ البيهقي ؛ نشوار المحاضرة ؛ النجوم الزاهرة ؛ جمهرة توقيعات العرب ؛ وغير ذلك.

[10] عضد الدولة من ملوك الديلم (324هـ –372 هـ) تولى ملك فارس ثم العراق.

عليه وسمل عز الدولة عينيه وسلمه إلى عضد الدولة فألقاه تحت أرجل الفِيَلة ، ثم صَلَبَه ببغداد (سنة 367هـ = 878م) فرثاه أبوالحسن الأنباري"[1]

وقد ذكر الصفدي أن ابن بقية كان "من جلَّة الوزراء ، وأكابر الرؤساء وأعيان الكرماء"[2]

القصيدة :

في تاريخ الأدب العربي قلَّ أن نجد شاعراً خلَّدته قصيدة واحدة ؛ بل نكاد لا نعرف لأبي الحسن الأنباري سواها ، وهذه القصيدة تحمل في طياتها التجديد في أفكارها ، والفصاحة في كلماتها ، والبلاغة في تراكيبها ، والصدق في معانيها ، وباب الرثاء قديم قِدَم الموت ، وما يقال فيه مكرور لا يتجاوز تعداد محاسن المتوفَّى بيد أن أباالحسن الأنباري قد رُزِئ بفقْد صديقه ابن بقيَّة في مأساة لا تتكرر ؛ فبعد أن كان صاحبَ الوزارة ألقى عز الدولة القبض عليه لوشاية بلغته ، وسمل عينيْه فلزم بيته إلى أن مات عز الدولة فظنَّ أن فجيعته ستنتهي لكنها تأخذ فصلا أشدّ مأساة على يد عضد الدولة الذي ألقى القبض عليه وألقاه تحت أرجل الفيلة فلما قتلته صلبه ولم يزل ابن بقية مصلوباً حتى توفي عضد الدولة فأُنزلَ ودُفِن ؛ وإذا كان عضد الدولة قد توفي سنة 372هـ = 925م أي ظل خمس سنوات مصلوبا .

هذه المأساة لم تجعل أباالحسن الأنباري يخاف من عواقب رثائه ؛ وقد رأى بأم عينيه حجم التنكيل والتعذيب والتشهير الذي ذاقه ابن بقية حياً ومحتضراً وميتا، لكنه يقف أمام هذا الجسد المصلوب فيكتب قصيدته "ورمى بها نسخا في شوارع بغداد فتداولها الأدباء إلى أن وصل خبرها إلى عضد الدولة [قاتل ابن بقية] فتمنى أن يكون هو المصلوبَ دونه ، فطلبه سنةً كاملةً (...) واتصل الخبر بالصاحب بن عبّاد ، فكتب له إلى عضد الدولة بالأمان فحضر إليه ، فقال له الصاحب :أنشدنيها فلما بلغ :

1-ولم أر قبلَ جذعكَ قطّ جذعاً تمكَّنَ من عِناقِ المكرماتِ

قام إليه وقبَّله ، وأنفذه إلى عضد الدولة فقال له : ما حملكَ على رثاء عدوّي ؟ قال : حقوق وجَبَتْ ، وأَيادٍ سَلَفَتْ ، فجاش الحزنُ في قلبي فرثيت ؛ (...) فخلع عليه وأعطاه فرساً وبَدْرَة[1]"[2]

---

[1] HELLMUT RITTER تحقيق كتاب أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني ص 321-322 ط.إستانبول 1954

[2] الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك) :الوافي بالوفيات ج1 ص100

2-

ما هذه الحقوق التي وجبت والعطايا التي وهبها له ابن بقية لتجعل هذا الوفاء الجميل يأتي في قصيدة فريدة في بابها – مع كثرة ما قيل في وصف المصلوبين[3] – إلا أنها خرجت عن قلب مقروح جاش الحزن فيه فلم يحفل بالوصف الخارجي للمصلوب لكنه قلب القضية رأساً على عقب ، فنظر فرأى ما لانراه ، وألفى مالم نتخيله ، وهكذا يكون الشاعر الفذ الفرد.

3- ماالذي حدا بعبد القاهر الجرجاني أن يصف هذه القصيدة بالسحر في أسرار البلاغة ؛ فيقول "" وقد علم أنه ليس في الدنيا مثلة أخزى وأشنع ، ونكال أبلغ وأفظع ، ومنظر أحق بأن يملأ النفوس إنكاراً ، وتنزعج القلوب استفظاعاً له واستنكاراً ، ويغري الألسنة بالاستعاذة من سوء القضاء ، ودرك الشقاء ، من أن يصلب المقتول ، ويشبح في الجذع[4] ؛ ثم قد ترى مرثية أبي الحسن لابن بقية حين صلب ، وما صنع فيها من السحر حتى قلب جملة ما يستنكر من أحوال المصلوب إلى خلافها ، وتأول فيها تأويلات أراك فيها وبها ما يقضي[5] منه العجب"[6]

4- ومالذي جعل الصفدي يذكر أنها "قصيدة لم أر في مصلوب أحسن منها"[7]

إن القصيدة منذ بدايتها افتتحها أبوالحسن محمد بن عمران الأنباري بحسن استهلال :

عُلوٌّ في الحياةِ وفي المماتِ بحقٍ أنتَ إحدى المعجزاتِ

---

[1] **البَدرَة : كيسٌ فيه مقدار من المال.**

[2] **الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك) :الوافي بالوفيات ج1 ص102-103**

[3] **من الذين وصفوا المصلوبين :ابن الرومي ودعبل بن علي الخزاعي والأخطل الأهوازي وابن حمديس وعمر الخرّاط وأبي تمام وغيرهم**

[4] **أي يثبت عليه منتصباً ممدود اليدين.**

[5] **الظاهر ينقضي بمعنى يفنى**

[6] **عبدالقاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ص 393 تحقيق أحمد مصطفى المراغي ، ط.مطبعة الاستقامة بالقاهرة 1367هـ = 1948**

[7] **الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك) :الوافي بالوفيات ج1 ص101**

مفارقة غريبة تقلب الواقع وهو الصلب فبحث عن صفة جامعة فألفاها عُلُواً ؛ العلو ليس مكانياً بعد الموت بل هو امتدادٌ لعلو المكانة حياً ومَيْتاً ، بعد هذا الصدر التي استهل به قصيدته يلتفت إلى ابن بقية عادّاً إياه معجزة خالدة ، مخاطباً إياه أنتَ كما اعتاد أن يخاطبه حيّاً كصديق .

لا نرى في هذا البيت رثاء بل لا نجد أثراً للرثاء فيه ، وربما كان هذا من أسرار تفرّد هذه القصيدة.

مايزال الشاعر يخفي أثر الصلب والحزن عن متلقيه ، ويشخص بصره نحوه ، والناس من حوله شاخصة أبصارهم ، ترى كيف يقرأ هذا المشهد:

كأنَّ الناسَ حولكَ حينَ قاموا وُفودُ نَدَاكَ أيام الصِّلات[1]

كأنَّكَ قائمٌ فيهم خطيباً وكلُّهمُ قِيـامٌ للصلاةِ

مَدَدْتَ يديْكَ نحوهمُ احتفاءً كمدِّهما إليـهمْ بالهبات

الناس قيام حولك لأنهم اعتادوا الالتفاف حواليك طمعاً في عطاياك وهباتك ؛ ولولا أداة التشبيه "كأن" لما فكَّر المتلقي في تغيّر أحوال الممدوح ، ثم يأتي التشبيه الآخر ، أنت كالقائم فيه خطيباً وكلهم قيام للصلاة مؤتمين بك ، ويأتي التشبيه الثالث في مد يديك نحوهم احتفالاً كمدهما إليهم بالعطايا والهبات ؛ وهنا نلمح وجه الشبه وهو بسْط يديه حيّاً ومَيْتاً.

وكأنه لم يفاجأ بأن لا قبر يضم رفاته ؛ فيأتي من معين خياله الذي لا ينضب بتفسير جديد يعلي من قيمة المصلوب قياساً إلى المقبور ؛ حينما ضاقت الأرض حائرة كيف تضم رفاتك وعلاك فأنت أكبر من أن تُقبر ، صرتَ عاريةً وهبوها للجو الذي أضحى قبراً لك ، واتخذوا من الرياح أكفانا ، هذه الصورة الرائعة التي قلب فيها الجو قبراً ؛ وجعل الرياح أكفانا نبَّهت المتلقي إلى شيئين :

أولهما :تفرد المتوفَّى منزلة ورفعة ، وكأن الكون كله يشارك في الاحتفاء به ، والكائنات تتسابق لتحظى بشرف معيّته وجواره.

وثانيهما : حداثة هذا التجديد الشعري عند ابن الأنباري وتفرده في هذا التصوير في شاعرية واضحة.

ولما تتم الصورة بعد ؛ فهناك حُرّاس وعسس يحرسون في انتباه هذا القبر الجوي ، وتلك الرياح المكفنة ؛ وهذا حقك فأنت ذو مكانة عظيمة في نفوسنا ولذلك فأنت جدير بالحراسة والهيبة ، وربما كان الوقت شتاء حين زار أبوالحسن الأنباري صديقه ابن بقية فوجد الحرس يشعلون ناراً يستدفئون

[1] الصلات : العطايا والجوائز

بها ؛ لكن ذاكرة الشاعر ترتدُّ به إلى نار طالما أشعلها ابنُ بقية هدايةً للحائر ، وكرماً للضيف ، وأمناً للمستغيث ؛ وهنا يخلط الشاعر – متعمداً – الأزمنة الماضوية والآنية في قصيدته حتى لا نعرف عن أيهما يحكي وفي أيهما يعيش.

ويمضي الشاعر في سمره مع صديقه لقد صُلبتَ كما صُلب من قبل زيد بن علي زين العابدين بن الحسين وهو الحسيب النسيب فتلك فضيلة تخرس ألسنة الشامتين والمعيّرين.
ويأتي البيت المدهش الذي يحمل فجاءة الشعر وخيال الشاعر :

ولم أر قبلَ جِذعكَ[1] قطّ جِذعاً تمكَّنَ من عِناقِ المكرماتِ

وحتى الجذع لا يخلو من الحسدِ ! ، وكيف لا وقد تمكَّن من عناق المكرمات والفضائل وصار في جواره وكنفه ، ونلمس انزياح الأشياء عن كينونتها وصفاتها في استعارات بديعة تؤنسن الجوامد فتعانق المكرمات بعد تمكّن ومجاهدة يشي بهما فعل "تمكَّن" ، فهنيئاً لهذا الجذع.

وتمضي القصيدة التي جمعتُ أبياتها من مصادر ومراجع متناثرة ، وكأني أجمعها من رقاع ملقاة بشوارع بغداد التي نثر فيها الشاعر قصيدته ، تمضي القصيدة متحدّثة عن ثأر بين الشاعر وحوادث الدهر التي كان يصرعها فتكاتفت لقتله "فأنتَ قتيلُ ثأر النائبات"التي جاءت لتدرك ثأرها ؛ وهنا نلمس التناص مع قول ابن الرومي :

لم يظلم الدهرُ أنْ توالتْ فيكم مصيباته دراكا
كنتم تجيرون منْ يعادى منه ، فعاداكم لذاكا

وقلب الدهر ظهر المجنّ فصار إحسانك إلينا من كبائر الخطايا ، وأنت الذي كنت مظهر سعد لمن رآك ونال من عطاياك فكيف بهم وقد مضيت فلم يبق لهم سوى النحس والشقاء.

وتُفْلِتُ زفرة اللوعة التي حاول الشاعر كتمانها منذ بدء قصيدته ؛ فيترك مخاطبته ليبثه شكواه من فقده ؛ ولأول مرة نسمع ضمير المتكلم في القصيدة مضافاً إلى قلبه الذي يحمل جمر حزنه الباطني ولا يُخفف إلا بالدموع المنهلة الجارية ، وكل ما يفعله جد يسير فلو استطاع وفاء حقوقه وواجباته بل فرْضه :

ملأتُ الأرضَ من نظمِ القوافي ونُحْتُ بها خلال[1] النائحاتِ

[1] الجِذع :ساق النخلة أو الخشبة التي صُلب عليها

ولكنّي أصـبّرُ فيكَ نفسي مخافةَ أنْ أُعـدَّ من الجُناةِ

وكأنه ظنَّ أن قصيدته هذه لن تملأ الأرض بذكرى ابن بقية نوحاً وحزنا وخلوداً ، فما عليه إلا أن يصبّر نفسه في زمن يقتل البريء فكيف بمن يرثي ويخلد ابن بقية المغضوب عليه ؟

وفي حزن نبيل يعود الشاعر إلى مخاطبة صديقه :

ومالَكَ تربةٌ فأقولُ تُسْـقى لأنكَ نصبُ هَطل[2] الهاطلاتِ

عليكَ تحية الرحمن تتْرى[3] برحماتٍ غَواد[4]ٍ رائحات[5]ٍ

فكيف أقول سقيا لقبرك ، وأنت صرت علامة تتجمع فيها السحب الماطرة وكأنك تمثال المطر القائم في الجو والرياح .

لم يتبق سوى الدعاء إلى الرحمن جلَّ علاه أن تتحول هذي الأمطار الغوادي الرائحات رحمات عليك إلى أبد الآبدين.

وهكذا تتحوَّل هذه القصيدة إلى قصيدة فريدة في بابها ، ولم يكن عضد الدولة مجانبا الصواب – بعد أن سمعها – وهو الصالب أن يتمنى أن يكون المصلوب.

---

[1] في رواية أخرى "خلافَ النايحاتِ"

[2] الهطل : المطر المتتابع

[3] تترى : يقال : جاءُوا تترى : متواترين ، [وأصله : وَتْرى] المعجم الوسيط.

[4] غوادٍ : مفردها غادية وهي السحابة تنشأ فتمطر غُدوةً.

[5] مطر العَشِيّ وتقابلها الغادية

"فقلتُ : لَعَلَّها"

من شعر عُرْوَة بن أُذَيْنَة[1]

1. إن التي زعمتْ فؤادك ملَّها خُلقتْ هواكَ كما خُلقتَ هوى لها
2. فبكَ الذي زعمتْ بها وكلاكما يُبدي لصاحبه الصبابةَ كلَّها[2]
3. ويبيتُ بين جوانحي حبٌّ لها لو كان تحت فراشها لأقَلّها
4. ولَعمرها لو كان حبُّك فوقَها يومًا وقد ضحيتْ إذنْ لأظلَّها[3]
5. وإذا وجدتُ لها وساوسَ سلوةٍ شفعَ الفؤادُ إلى الضميرِ فسلَّها[4]
6. بيضاءُ باكَرَها النعيمُ فصاغَها بلباقةٍ فأدقَّها وأجلَّها[5]
7. لمَّا عرضتُ مُسَلّما لي حاجةٌ أرجو معونتها وأخشى دلَّها[6]
8. منعتْ تحيَّتها فقلتُ لصاحبي ما كانَ أكثرَها لنا وأقلَّها
9. فدنا وقالَ : لعلَّها معذورةٌ من أجل رِقْبتِها[7] ؛ فقلتُ: لَعَلَّها[8]

الشاعر:

عروة بن أذينة[9]: هو يحيى بن مالك بن الحارث بن يَعْمُر بن مُضَر بن نزار المدني الحجازي الكناني وكنيته أبوعامر ، وهو من شعراء أهل المدينة في العصر الأموي وهو معدود في الفقهاء والمحدّثين وروى عنه مالك بن أنس رضي الله عنه في الموطأ وكان من العلماء المشهورين في عصره ؛ وكان عمر

---

[1] اختيار ونقد الدكتور محمد أبوالفضل بدران

[2] الصبابة :الشوق أو رقته وحرارته "المعجم الوسيط"

[3] ضحيت :أصابها حرُّ الشمس

[4] وساوس سلوة: حديث النفس نحو نسيان الحب

[5] باكرها النعيم :عاشت في النعيم منذ الصغر

[6] في الديوان "أخشى ذُلَّها" بيد أني وجدت في رواية أخرى "دلّها" والدّلّ : الحالة التي يكون عليه الإنسان من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل . ويقال امرأة ذات دَلٍّ :ذاتُ شكل تُدِلُّ به .

[7] الرِقبة :الحالة التي تكون عليها المراقبة .

[8] شعر عروة بن أذينة ص 360–364 تحقيق الدكتور يحيى الجبوري : ط.مكتبة الأندلس ، بغداد 1970

[9] ينظر في ذلك :أبوالفرج الأصفهاني :الأغاني ج 21 ؛ ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج 2 ؛ الحصري (أبو إسحق ابراهيم بن علي القيرواني :زهر الآداب وثمر الألباب ج1 ؛ وقد قام الدكتور يحيى الجبوري بتحقيق ديوان الشاعر والتعريف به في مقدمة وافية تحت عنوان :شعر عروة بن أذينة ونشره بمكتبة الأندلس ، بغداد 1970

بنُ عبدالعزيز يقول عنه "نِعْمَ الرجلُ أبو عامر"[1] وكان له مجلس يقصده الناس للعلم والحديث وقرض الشعر ، وقد زاره بمجلسه هذا الفرزدقُ والأحوصُ بن محمد وحين قصد جرير المدينة لقيه عروة وابنُ هَرْمة وأنشداه من شعرهما فقال جرير : "القرشيُّ أشعرهما (أي ابن أذينة) ، والعربي أفصحهما" وقد وصفه الآمدي بأنه "كان عالما ناسكاً وشاعراً حاذقاً"[2] توفِّي في حدود الثلاثين ومائة للهجرة.ويدور معظم شعره في أبواب الغزل والزهد والرثاء والفخر والحكمة وإن كان جلُّ شعره في باب الغزل فقد كان "أرق الناس تشبيباً"[3]، وقد نقدت السيدة سكينة بنت الحسين رضي الله عنها شعره ودار بينهما حوار نقدي حول قوله :

قالتْ وأبْثثْتُها شجوي فبحتُ به قد كنت عندي تحبّ السّترَ فاستترِ

ألست تبصرُ من حولي فقلتُ لها غطّى هواك بما ألقى على بصري

وكان يقدم على هشام بن عبد الملك فدار حوار معه حول قوله:

لقد علمتُ وما الإسرافُ من خُلُقي أنَّ الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فيعنّيني تطلبهُ و لو جلستُ أتاني لا يعنّيني

فقال له هشام: هلا جلستَ في بيتكَ فأتاكَ رزقُك، فخرج عروة غاضبا فافتقده هشام فعلم رحيله فأرسل له جائزته.

وفي شعره جمال الأسلوب ورقة العاطفة وحسن التصوير وجنوح الخيال ؛ وهو القائل :

إذا وجدتُ أُوار الحبّ في كبديأقبلتُ نحو سقاء القوم أبتردُ

هبْني بَرَدْتُ ببرد الماء ظاهرَهُفمن لنارٍ على الأحشاء تَتّقِدُ

القصيدة:

تعد هذه القصيدة من أشهر قصائده ، وقد نالت شهرتها في عصره وماتبعه من عصور فقد قال أبوالسائب المخزومي بعد سماعه هذه القصيدة "واللهِ ماكنتُ لآكل بهذه الأبيات طعاماً إلى الليل" فهي قصيدة نلمس فيها أثر الحياة المنعمة التي كان يحياها معظم الناس آنذاك كما نلمس بها أثر الغناء على القصيدة الأموية ؛ فقد اختفت المعلقات أو المطولات وكادت تختفي المقدمة الطللية وأضحت القصيدة تنبئ عن عاطفة شعرية صادقة تعكس تطور الحياة في العصر الأموي. كما أن الألفاظ فصيحة صحيحة لا غرابة فيها والمعاني لا تعقيد فيها.

---

[1] أبوالفرج الأصفهاني :الأغاني ج2ص239

[2] الآمدي : المؤتلف والمختلف ص 54-55

[3] ابن عبد ربه :العقد الفريد ج5 ص289

إن من يقرأ شعر عروة يحس لأول وهلة بموسيقى الألفاظ واضحة ؛ والجرس الموسيقي عند عروة ضرورة من ضرورات الغناء الذي شاع في الحياة الأموية ؛ وشجع على ذلك الخلفاء والولاة ؛ وعروة يمثل شعراء الحجاز آنذاك فهو الفقيه ثم العاشق الذي يصف لنا لواعج نفسه ، ومكنون مشاعره تجاه تلك المحبوبة التي تزعم أن فتاها قد ملّها

إن التي زعمتْ فؤادك ملَّها جُعلتْ هواكَ كما جُعلتَ هوى لها

بيد أنه يردُّ قائلا : إنها قد جُعلت هواه كما كان هوى لها ، وكلٌّ يبادل الآخر بحب وبصبابة. ثم إنه يحاول أن يصف لنا حبه وكيف أن حبه يبيت بين جوانحه ؛ فيقلق مضجعه ، ويؤرق ليلته ، ويحاول أن يصف لنا هذا الحب الذي لو كان تحت فراشها لهزها ، وأقلق مضجعها أيضاً.

ثم يُقسم بعمرها أن حبه لو كان يوما فوقها في وقت الضحى والشمس ساقطة على عينيها لتحول هذا الحب إلى مظلة تظلها وتحجب عنها ضوء الشمس في حنان ورقة.

ثم يحاول أن يصف لنا هذا الصراع الذي يعانيه في داخل نفسه، فعندما يحس أن وساوس نفسه ما تزال تطارد هذا الحب وتودُّ منه أن ينساها فيأتي القلب مسرعا يشفع عند ضميره علَّ ضميره يرضى أن يطرد هذه الوساوس. وهنا نلمح انفصاماً في شخصيته بين هذا العاشق المتيم، وهذا العاقل الذي يعاني من وجْد وجده وحبه. وينتصر القلب على العقل.

ثم يصف لنا هذا الجمال الأنثوي الذي بهره ؛ إنها تربت وترعرعت في النعيم فأتت آيةً من آيات الجمال في لباقة ودقة وجلال.

ثم يُسَلِّم عليها بيد أنها تمنع تحيتها فيشكو ذلك لصاحبه ما كان أكثر هذه الكلمة معنى لو ردَّتْ على تحيتنا، وما كان أقلها لفظاً بالنسبة لها.

وعندما يشكو ويلحّ في الشكوى لصاحبه يطمئنه صاحبه ملتمسا لها الأعذار ويقول له : لعلها معذورة ؛فربما كانت هناك عيون ترقبها ، وبقلب العاشق يصدِّق الأعذار التي يسوقها له صاحبه ويتمتم في نفسه : "لعلها".

وقد تجلت الوحدة الموضوعية في القصيدة كما اتضحت الوحدة العضوية أيضا.

والقصيدة على وزن بحر الكامل وأجزاؤه :"متفاعلن" ست مرات ، وقد وضحت موسيقاها وبرع عروة في قوافيه فجاءت غير مجلوبة ولا قَلِقة.

وقد وضح أن عروة قد ألزم نفسه في قوافيه مالا يلزم فلو نظرنا إلى "كلّها ، أقَلَّها ، أَظَلَّها ، أَجَلَّها ، دلَّها ، أَقَلَّها ، لعلَّها" لوضح لنا أنه كرّر اللام وهي حرف الروي وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة ثم الهاء وتسمى هنا هاء الوصل ؛ فالألف ويسمى في علم القافية ألف الخروج ، وقد منح تكرار هذه الحروف في كل أبيات القصيدة إضافة إلى التصريع موسيقى واضحة في

القصيدة.والقصيدة في مجملها تعد نصا أدبيا له ملامحه المميزة وموسيقاه الظاهرة مما ينبئ عن منزلة عالية لعروة بين أذينة بين مصاف الشعراء في ذلك العصر.

"...وَمَتَى القلبُ في الخفقانِ اطمَأنْ ؟!"

أمل دنقـــل
الشاعر والإنسان

" آه ما أقسى الجدار
عندما ينهضُ في وجه الشروق
ربما نُنفق كلّ العمر كى نثقبَ ثغره
ليمر النورُ للأجبال مرّة
ربما لو لم يكن هذا الجدار
ما عرفنا قيمة الضوء الطليق "[1]

في أول صفحة من ديوان " البكاء بين يدى زرقاء اليمامة " لأمل دنقل تفاجئك هذه الكلمات التى تلخص إلى حد ما رؤيته للواقع العربى ومحاولة الشاعر تغيير هذا المجتمع ، وقد يشعر الشاعر أنه يحاول ثقب ثغرة ضيقة في جدار الظلم والفقر والخنوع في المجتمع العربى ؛ بيد أنه يؤمن أن هذه الثغرة البسيطة كافية لإشعار مَن في الظلام أن هنالك نورا وحرية يتمتع بها الناس الأحياء وليس الناس الأموات ، و هنا يحمل من التفاؤل ما يقضى على التشاؤم الذى شعر به ذات مرة فردد في انكسار :

[1] أمل دنقل : البكاء بين يدى زرقاء اليمامة ص 107 (الأعمال الشعرية الكاملة)ط .دار العودة ، بيروت ، ومكتبة مدبولي ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1985.

" أفتقدرُ أن تنقذ الحقَّ ثرثرةُ الشعراء " [1]

لكنه يؤمن بغد أفضل ، ويدرك أنه شاعر لايحمل –كما قال – إلا قلما :

" أنا لا أحمل إلا قلما بين ضلوعى "[2]

وكم كان قلم أمل جارحا وكاشفا لكل الأقنعة التى يرتديها المجتمع حكاما ومحكومين ، ولذلك عاش طريدا ، ومات وحيدا .

لقد استطاع أمل أن يمتلك – كما أرى – عَقْلنة الشعر ، وأعنى بهذا المصطلح أن يعقلن الأشياء برؤية دون أن يدخل في شرك الخطابة أو النظم ودون أن يفقد الشعر بساطته وخصوبته وخياله الذاتى .. إنه يفلسف الأشياء – كما سنرى . فيقنعك برؤيته ، فتعيد التطلع والتأمل في الأشياء من جديد ، ويتركك مع هذا العقل الذى قال عنه أبوالعلاء المعري (363 – 449 هـ = 973 – 1058 م) :

"أيها الغِرّ إن خُصصتَ بعقلٍ فاتّبِعْهُ فَكُلّ عقــلٍ نبىٌّ "[3]

وقد عانى كثيرا بسبب مواقفه وآرائه هذه مما جعل الإعلام المصرى يقف له بالمرصاد ويتجاهله تماما لدرجة أن الحوار الوحيد الذى نشرته له صحيفة الأخبار كانت قد أجرته الصحفية عبلة الرويني معه وقاومت – بسبب حبها للشاعر وإيمانها بموهبته – في تحقيق نشره ونُشر في1975/12/11 ، وتزوج أمل عبلة الروينى بعد ذلك.

وقبل أن ندخل عالم أمل الشعرى أود أن أتوقف حيال نشأته وأثرها على تكوين شاعريته .

سيرة أمل الشعرية :

وُلد أمل في 23 يونيو سنـة 1940 بقرية القلعة التابعة لمركز قفط بمحافظة قنا (صعيد مصر) ، وكان أبوه مدرسا للغة العربية بمدرسة قنا الثانوية الصناعية

---

[1] أمل دنقل : العهد الآتي ص 314 (الأعمال الشعرية الكاملة)

[2] أمل دنقل : تعليق على ماحدث ص 238 (الأعمال الشعرية الكاملة)

[3] المعري : (أحمد بن عبدالله بن سليمان ، أبوالعلاء المعرى) : لزوم ما لا يلزم جـ 2 ص 239 ،تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط . دار الكتب الإسلامية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1402 هـ = 1982 م .

وكان يقرض الشعر التقليدى ، ولديه مكتبة تراثية عظيمة وتُوفي والده في سبتمبر1950 ، ويكمل شقيقه أنس فصول الحكاية " كان أمل أكبرنا في العاشرة ، تليه شقيقتنا الوحيدة في الرابعة وكنت أصغرهم في عامى الأول ... وبوفاة الأب انقلبت الأحوال .... انفردت الأسرة بأحزانها بينما أصبحت مجالس الأهل في القرية تدور حول الميراث الضئيل الذى خلفه الأب ومن سيقوم بزراعته ؟ ومن الذى يستطيع أن يستفيد من المحنة ..... واضعا العراقيل في طريقنا لنبيع له بعضا من هذا الإرث بثمن بخس ، ولْيذهب هؤلاء الصغار إلى الجحيم .... في هذا الخضم كان الجميع من الأهل – بلا استثناء – ضدنا ، ضد هذه الأم العظيمة التى وقفت بأطفالها وحيدة "[1]

هذا اليتم وهذه المعاناة انعكسا بشكل كبير على شعر أمل ، ولذا جاء شعره أشبه بالشكوى :

" هل عَرَف الموتُ فَقْدَ أبيه ؟ "[2]

وكأنه إعادة صياغة للبيت القديم :

لا أكرهُ الموتَ لكنّى أسائلهُ هل ذقتَ ما أنتَ بالإنسانِ فاعلهُ ؟

ثم يكمل فصول المأساة التى عاشها صبيا ، وذاق مرارتها :

" هل لبسَ الموتُ ثوب الحدادِ الذى حاكه ... ورماه ؟

خصومةُ قلبى مع الله

أين وريث أبى؟

ذهب المُلك ،

لكنْ لاسم أبى حقٌ أن يتناقلهُ ابنُه عنهُ

فكيف يموت أبى مرتيْن .. ؟ "[3]

---

[1] أنس دنقل : شقيقي أمل دنقل ، مقال بمجلة "القلم "كلية الآداب بقنا ص 6 ، العدد الثالث ، أبريل 1994 .

[2] أمل دنقل :أقوال جديدة عن حرب البسوس ص 345 (الأعمال الشعرية الكاملة)

[3] السابق

وتتردد هذه النغمة الشاكية في شعر أمل ، تقتله ذاكرته الملأى بالظلم الذى قال عنه المتبنى من قبل:

وظلمُ ذوي القُربى أشدّ مضاضةً على النفسِ منْ وَقْعِ الحسامِ المهنذِ

ولذا يقول أمل في قصيدته " سِفر التكوين " :

" ورأيت ابن آدم ينصب أسواره حول مزرعة الله ،

يبتاعُ من حوله حَرَساً ،

ويبيع لإخوته الخبز والماء ،

يحتلب البقرات العِجافَ لتعطى اللبن ....

قلت : فَلْيكنِ الحبُّ في الأرضِ ، لكنّهُ لم يكنْ

أصبح الحبُّ مِلكاً لمن يملكون الثمنْ

.....

ورأى الرب ذلك غير حسنْ "[1]

ويتساءل في قصيدته : موت مغنية مغمورة "

" مَنْ يفترس الحَمَل الجائع

غيُر الذئب الشبعان

ارتاحَ الرب الخالق في اليوم السابع

لكنْ لم يسترحِ الإنسان "[2]

وتموت الأخت الوحيدة ويظل حضورها قويا في شعره ، ويتخذ منها رمزاً شفافاً للموت الذى ينساه الشاعر أو يتناساه ؛ ففي قصيدته " الموت في لوحات " تحتل أخته مكانا متميزا في القصيدة ولعله يؤثرها بالشعر بعد أن عجز أن يدفع عنها المرض والموت صغيرا :

" شقيقتى " رجاء " ماتت وهى دون الثالثة

ماتت وما يزال في دولاب أمى السِرّي

---

[1] أمل دنقل : العهد الآتي ص **269** (الأعمال الشعرية الكاملة)

[2] أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص**148** ، (الأعمال الشعرية الكاملة).

صندُلها الفضي !

صدارها المشغول ، قِرْطها ، غطاء رأسها الصوفي

أرنبها القطنى ..

عندما أدخل بهو بيتنا الصامت

فلا أراها تمسك الحائط ... علّها تقف

أنسى بأنها ماتت ...

أقول ربما نامت ...

أدور في الغرف

عندما تسألنى أمى بصوتها الخافت

أرى الأسى في وجهها الممتقع الباهت ...

وأستبينُ الكارثة " [1]

إننا لانستطيع أن نفهم شعر أمل دون الدخول إلى عالم الموت لديه ربما يستهويه الموت ، ويستحضره ، ويحاوره ، ولذلك في آخر قصيدة من قصائده وهى قصيدة " الجنوبي " تطِلّ أختُه ووجه أبيه :

" أتذكر مات أبى نازفاً

أتذكر هذا الطريق إلى قبرِهِ

أتذكر أختي الصغيرةَ ذات الربيعيْن

لا أتذكر حتى الطريق إلى قبرها المنطمسْ

أوَ كان الصبىّ الصغيُر أنا ؟

أم ترى كان غيري ؟ " [2]

ولم تتوقف معاناة أمل في طفولته إذ انتقل إلى قنا ومنها إلى القاهرة ليعيش حياة الفقر والصعلكة ، ويفاجأ أن ظلم أهله جزء من منظومة الظلم الكبير في هذا العالم ، وهو الذى لجأ إلى التصوف في القرية عله يجد مهربا إلى عالم مثالى يخلقه

---

[1] أمل دنقل : السابق ص **149 – 150**

[2] أمل دنقل : أوراق الغرفة (8) ص **9 – 10** ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،**1983**.

بذاته كمتصوف ، ويقوده التصوف في صباه نحو تحقيق ذاتيته إذ إن المتصوف يستطيع أن يكوّن العالم وَفق إرادته ، ويخلقه وفق رؤاه ؛ ولذلك كان كما تحكى زوجه عبلة الرويني "في صباه شديد التدين ... لا يترك فرضاً ... يلقى خطب الجمعة في المساجد ، ويحمل عهدا وطريقا على منهاج الشيخ إبراهيم الدسوقى "[1]

وفي رحلة أمل في البحث عن اليقين الكامل الذى لايوجد يتجه نحو القاهرة ويحاول أن يلتحق بكلية الآداب ولكن الفقر يطارده فيهجرالدراسة والجامعة ويتجه إلى الشعر مصاحِبًا الفقر والمعاناة ، ويتحول صوته إلى قوة رافضة للخنوع ، ولذلك يقول : " أنا أعتبر أن الشعر يجب أن يكون في موقف المعارضة حتى لو تحققت القيم التى يحلم بها الشاعر ، لأن الشعر هو حلم بمستقبل أجمل ، والواقع لايكون جميلا إلا في عيون السذج "[2]

ويعرف أن مواقفه سوف تدفعه إلى المعاناة ، لكنه كشاعر يمتلك الموهبة والقدرة على التعبير يرفض أن يتحول إلى شاعر الأمير.

ويصدر أمل دواوينه :

- **البكاء بين يدى زرقاء اليمامة.**
- **مقتل القمر.**
- **تعليق على ماحدث .**
- **العهد الآتى.**
- **أقوال جديدة عن حرب البَسُوس.**

لكن يظل ديوانه " البكاء بين يَدي زرقاء اليمامة " نقطة تحوّل في حياته الشعرية إذ إنه قد صدر متنبئًا بما حدث في مصر من هزيمة في حرب الأيام الستة في 1967 ولكنه بعينيه الشاعرتين يحلل أسباب الهزيمة التى يجعل فيها فقدان الحرية العامل الرئيسى للهزيمة ، وينتقل أمل بهذا الديوان من صفوف الشعراء

---

[1] عبلة الرويني : الجنوبي أمل دنقل ص 15 ، ط . دار الصباح ، الكويت ، القاهرة ، 1992م

[2] أمل دنقل : (حوار مع أمل دنقل ، صحيفة الأخبار ، القاهرة ،1975/12/11)

الشبان إلى الشاعرالرئد ، وتلتحم قصائده مع الناس البسطاء وتتردد على الألسنة ، ويتحول شعر أمل إلى أنشودة يرددها الناس في كل مكان ، فشعره لايكتبه للمثقفين فقط لأنه ضد وضع الشعر في جو الغموض والدهاليز البلاغية بل يجب أن يكون الشعر مرتبطا بالناس كما عبر أمل نفسه في ندوة لمجلة " فصول " :

"تحول الشعر الحديث الى شعر مثقفين في حين ان وظيفته الأساسية هى في ارتباطه بالناس ، وقد كان إنتصار الشعر الجديد منذ البداية راجعا إلى ارتباطه بالناس وتجاوبهم بالتالى معه "[1]

وارتبط الناس بشعر أمل ، لكن الحكومات – آنذاك –كانت تخاف هذا الشعر الذى بدأ ينتقل كالنار وسط الهشيم ، وراحت تحاصره فهو ممنوع إعلاميا لايُذكر إسمه ولا شعره ولاصورته في الصحف والمجلات والإذاعات وقنوات التليفزيون ، فراح ينشر قصائده ودواوينه في لبنان ولكنها كانت توزع سرا في مصر ، بل إن قرارات المنع أسهمت – علىعكس ما توقعوا – في شهرته .

لكنه عاش فقيرا ، فليس لديه مسكن ، وليس لديه وظيفة تدرّ عليه دخلا ، وعندما عُين في منظمة التضامن الأفرو/أسيوى لم يتجاوز مرتبه ثلاثين جنيها ، وعندما أحب أمل عبلة الرويني الصحفية بالأخبار وأراد أن يتزوجها ذهب إلى أهله يطلب منهم مساعدته ، ولكن طلبه هذا قوبل بالرفض مرة أخرى بعد أن استولوا على ميراثه ، ولكنه يكافح حتى يتزوج عبلة في 1979 ولكن بعد شهور تسعة يكتشف أمل أنه مصاب بالسرطان الذى يتضاعف بسرعة وهو لايملك طعامه فكيف يملك علاجه ، ويقيم أمل في مستشفي معهد الأورام التابع لجامعة القاهرة في الغرفة رقم 8 منذ فبراير 1982 إلى يوم رحيلة في الحادى والعشرين من مايو 1983 .

وتجمع زوجه عبلة الرويني وصديقه الناقد الدكتور جابر عصفور آخر ما كتبه أمل طوال فترة المرض والإحتضار وينشرانه في ديوان يحمل إسم : " أوراق الغرفة 8 "

---

[1] أمل دنقل : مجلة فصول (عدد قضايا الشعر المعاصر) المجلد الأول العدد الرابع ، يوليو1981م

وقد عرفتُ الشاعر أمل دنقل في أواخر حياته في صيف 1981عندما ذهبت إليه بصحبة القا ضى أبو ابرهيم وكان من أصدقائه وكان أمل قد تزوج بعبلة "وأخذ أمل يتصفح قصائدى التىكنت أنشرها في ذلك الوقت في مجلة " الكاتب "وأخرج أمل قلما وراح يعدّل في أشعارى ويعجب بجملة ولاتعجبه جملتان ثم راح يشرح لى تجديده في الشعرالحديث ولاسيما في قصيدته " أيلول " التى جعلها على مستويين متوازيين .

ثم زرته مرات في المستشفي وكانت ذاكرته تحفظ كل الأشياء وفي أواخر 1982 زرته بينما كنت في الجيش بمدينة السويس ، ووجدته شخصا آخر فقد كان المرض قد أنهكه ؛ وبدا لي الموقف محزنا لكنه ناداانمبتسما وأخذ يتحدث معى بصعوبة واضحة ، وكان هذا آخر العهد به.

ولقد كانت حياة أمل دنقل جزءا من شاعريته ، وعاملا من عوامل تفتح موهبته ورغم إقامة أمل في القاهرة إلا أنه كان يحن إلى قريته " القلعة " حيث كان يكره القاهرة /المدينة:

" يا أبناء قريتنا أبوكم مات
قد قتلته أبناء المدينة
.....
تركوه فوق شوارع الإسفلت والدم والضغينة "[1]

وكذلك قوله:

" الناس هنا – في المدن الكبرى – ساعات
لاتتخلف ، لاتتوقف ، لاتتصرف
آلات ... آلات ... آلات "[2]

وفي " بكائية ليلية " يقول أمل :

"نتوه في القاهرة العجوز، ننسى الزمنا

---

[1] أمل دنقل : مقتل القمر ص 68 (الأعمال الشعرية الكاملة)

[2] السابق ص 78

نفلت من ضجيج سياراتها ، وأغنيات المتسولين ،
تظلنا محطة المترو مع المساء .... متعبين
وكان يبكى وطنا ... وكنت أبكى وطنا "[1]
وقد صاحب أمل عدد من الشعراء منهم صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطى حجازى وحسن توفق وعبدالعزيز المقالح وغيرهم كما صادق القاص يحيى الطاهر عبدالله والأديب يوسف إدريس الذى إفتتح حفل تأبين أمل قائلا:
" لن أطلب منكم الوقوف حدادا ،
فنحن إذا وقفنا حدادا ، سيكون الحداد على عصر طويل قادم ؟"[2]

ملامح شعر أمل :
يمتلك أمل ناصية اللغة ، يطوعها حسبما يشاء ، وهذا أضفي على شعره بساطة التراكيب اللغوية دون الوقوع في الخطابية النثرية ، والبساطة كما يذكر الدكتور عبدالعزيز المقالح كما فهمها جيل أمل دنقل "لاتعنى التمرد على القواعد اللغوية أوالخروج عن الأسس الفنية للكتابة ، ولاتعنى الرقة والتبسيط ، إنما تعنى تلقائية التناول أو عفوية التعبير ، والإبتعاد عن خشونة اللفظ إلى خشونة المعنى ، وتحويل العمل الأدبى من شعر لايَفهم محتواه سوى نفر قليل من الكتاب إلى أنشودة جماعية وإلى لغة فن ووجدان"[3]
ولقد تعددت ملامح شعر أمل مما يجعل حصرها مستحيلا ، فملمح اليُتم مثلا لعب –كما رأينا – دورا كبيرا في شعره ، وموت شقيقته الوحيدة ، وقد انعكست طفولة أمل في شعره بحيث صار التذكّر لديه يعنى تذكر الألم والمعاناه ولعبت الذاكرة دورا كبيرا في تشكيل إبداعة فالذاكرة " جزء من عمله الإبداعى ، فهو لايضع تخطيطات أولية لقصيدة ثم يتابع تطورها .. ولكنها تتراكم في ذاكرته يوما بعد يوم ،وسنة بعد أخرى دون مسودة واحدة ...

---

[1] أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص 108 (الأعمال الشعرية الكاملة)
[2] يوسف إدريس : إفتتاحية كتاب الجنوبي ص 7
[3] د. عبدالعزيز المقالح : مقدمة أعمال أمل دنقل الشعرية الكاملة ص 31

إن كل شيء محفور في ذهنه المتقد ، فأمل شاعر .. بل رجل لاينسى "[1]

ولقد كان حضور أمه في الشعر حضورا واضحا ، فالأم لديه هى تلك المرأة الصعيدية التى وقفت تكافح من أجل أبنائها وضحت كثيرا من أجلهم ، ولقد تسربت أمه في شعره :

" تسألنى أمى بصوتها الخافت

أرى الأسى في وجهها الممتقع الباهت

وأستبين الكارثة "[2]

وهذا الصوت الخافت حقيقة كما تذكر زوجة عبلة الرويني " يجلس مع والدته طوال اليوم ساعات طويلة دون ان يقيم حوارا معها .. وهى أيضا لاتلفظ كلمة واحدة أو تبادلة الحديث

– أمل لماذا تظل صامتا ، ولاتكلم أمك كثيرا ، بل كيف تتبادل معك هذا الصمت طويلا ؟

– إن هذا أجمل مافيها ... إنها تعرف كيف تصمت معى " [3]

ثم تظهر الأم في قصيدة لاوقت للبكاء التى قالها في رثاء جمال عبدالناصر بعد أن كان قد إختلف معه حيا بعد هزيمة 1967 ، وفيها يقول :

"وأمى التى تظل في فناء البيت منكبة

مقروحة العينين ، مسترسلة الرثاء

تنكث بالعود على التربة

رأيتها الخنساء

ترثى شبابها المستشهدين في الصحراء"[4]

وقد يكون الشاعر قد حمّل الأم رمزية الأرض والوطن حيث رآها الخنساء 575؟– 664 ؟ تلك المرأة العربية التى تعد أفضل شاعرة عربية ، وقد اشتهرت بشعر

---

[1] عبلة الرويني : الجنوبي أمل دنقل ص75 (الأعمال الشعرية الكاملة)

[2] أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص150

[3] عبلة الرويني : الجنوبي أمل دنقل ص69

[4] أمل دنقل : تعليق على ماحدث ص 257 – 258 (الأعمال الشعرية الكاملة)

الرثاء عندما قُتل أخواها معاوية وصخر ، ثم أسلمت وقتل أولادها الأربعة فيمعركة القادسية ، بل إنه يرى أمه في كل الأشياء :

" أتحسس وجهك

هل أنت طفلتى المستحيلة أم أمي الأرملة "[1]

كذلك تظهر الطفولة في شعر أمل وتتردد مفردات الطفولة: طفلي ؛ طفولة ؛ الرضيع ، طفله ؛ الطفل ؛ طفيلة ، الأطفال ، طفيلها ، مرح الطفل ؛ أطفالي ثم طفلتي المستحيلة أكثر من أربعين مرة في شعره ، ولعل مردَّ ذلك يعود إلى حنين أمل إلى طفولته ، بل إن آخر قصائده " الجنوبي " إبتدأها بتساؤل حزين :

"هل أنا كنتُ طفلا

أم أن الذى كان طفلاً سواى ؟

.....

.....

أوَ كان الصبى الصغير أنا

أم تُرى كان غيري ؟

أحدق ...

لكن تلك الملامح ذات العذوبة ....

لاتنتمى الآن لي

صرتُ عنى غريبا

ولم يتبق من السنوات الغريبة

إلا صدى اسمى "[2]

وفي أحاديث أمل دنقل مع الصحف والمجلات العربية[3] تبدو الطفولة ملمحا رئيسيا في أحاديثه وفي عدم التزامه بحزب معين طوال حياته ، فقد عاش كما يرى

---

[1] أمل دنقل : العهد الآتي ص 290 (الأعمال الشعرية الكاملة)

[2] أمل دنقل : أوراق الغرفة 8 ص 9 ، 10

[3] أنس دنقل : أحاديث أمل دنقل ، القاهرة ، 1992 .

الدكتور يوسف إدريس "شاعرا وكفي .. يريد أن يجعل الواقع شعرا ، والشعر واقعا وتلك هى الإستحالة ، لذلك كانت رؤيا كلها رؤيا مستحيلة"[1]

لكن الملمحين الرئيسيين في شعر أمل هما : الحرية والموت :

(1) الحرية :

منذ أول قصيدة في شعر أمل حتى آخر جملة في شعره يبحث أمل عن الحرية التى لاتوجد إلا من خلال العدل ، يبحث عن الحقيقة التى لاتقبل الشك ، ففي قصيدة الجنوبي :

" هل تريد قليلا من الصبر ؟

– لا

فالجنوبي ياسيدى يشتهى أن يكون الذى لم يكنه

يشتهى أن يلاقى إثنتين :

الحقيقة والأوجه الغائبة "[2]

وفي بحثه العبثى عن الحقيقة يصطدم بالظلم وبالحرب ، وبالفقر ، والطبقية المتفشية في المجتمع

" فقد طغى اللصوص في مصر بلا رادع"[3]

، والحرية لدى أمل مرتبطة بالتخلص من كل المعوقات ، وربما تأثر في ذلك بالفيلسوف نيتشه Friedrich Nietzsche في إيمانه المطلق بالإنسان ، لكنه عندما يرى حال الأمة العربية في 1967 يخلق شخصيات معاصرة متكئة على شخصيات ترائية متشابهة يحمّلها الأحداث العصرية على نحو مافعل مع عنتره بن شداد وهو أحد الشعراء السود في العصر الجاهلى والذى عاش في الفترة (525؟ – 615؟) وكانت أمه عبدة حبشية ، وطمح إلى الزواج من إبنة عمه " عبلة " لكن حاجز اللون والطبقية حال دونها ، ولم تشفع شهرة عنترة كفارس قوي وشاعر

---

[1] د. يوسف إدريس : مجلة أدب ونقد ، يناير ، 1984 م

[2] أمل دنقل : أوراق الغرفه 8 ص 18

[3] أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص 190

متمكن حتى يرتقي إلى طبقة السادة ؛ ولكن عندما تُغير القبائل على قبيلة عبس ينادى فوارسها : "عنتر .... أَقْدِمْ" فيوظف أمل هذا التراث ويتخذ من عنترة رمزا للشعب العربى الذى يقول أمل على لسانه :

" فقد سكتُّ سنةً فسنة
لكن أنال فضلة الأمان
قيل لي : إخرس فخرست
وعميت .. وائتممت بالخصيان !
ظللت في عبيد " عبس " أحرس القطعان
أجتزُّ صوفها
أردُّ نوقها
أنام في حظائر النسيان
طعامى : الكسرةُ والماء وبعض التمرات اليابسة
وها أنا في ساعة الطعان
ساعةَ أن تخاذل الكماةُ والرماةُ والفرسان
دُعيتُ للميدان
أنا الذى ماذقتُ لحم الضأنْ
أنا الذى لاحول لى أو شأن
أنا الذى أُقصيتُ عن مجالس الفتيان
أُدعى إلى الموت .. ولم أُدع إلى المجالسة !!"[1]

ويوظف أمل التراث في شعره وليس التراث العربى فقط بل التراث الإنسانى العام فنجد في شعره رع Ra = Re إله الشمس عند الفراعنة ، ويوظف أوديب في شعره أيضا و نجد سيزيف ، ونرى سبارتكوس Spartakus الذى قاد حرب العبيد (73 ق.م) حتى قُتل ويوظف سالومى Salome ؛ وزرقاء اليمامة تلك

[1] أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص 123 – 124

الفتاة العربية ذات العينين الجميلتين الحادتين اللتين كانت ترى بهما عن بُعد جيوشَ القبائل المغيرة.

هذا التوظيف له دلالة واحدة في شعر أمل وهى البحث عن الحقيقة كمرادف للحرية ولذلك وُوجه أمل بالإتهامات لأنه بدأقصيدته كلمات سبارتكوس الأخيرة " بقوله :

" المجد للشيطان معبود الرياح
من قال " لا " في وجه من قال " نعم "
من علم الإنسان تمزيق العدم
من قال " لا " فلم يمت
وظل روحا أبدية الألم "[1]

ولم يفهم هؤلاء أن أمل لايتحدث عن الشيطان هنا بل يتحدث عن الثائرين الذين يوصفون بالشياطين من قِبَل الحكام الذين يرتضون بالشعب الخانع دائماً ، ولذلك يحاول أمل على لسان سبارتكوس Spartakus أن يخلع العصابة التى وُضعت على عيون الشعب قائلا :

" معلقٌ أنا على مشانق الصباح
وجبهتى بالموت محنية
لأنني لم أحنها حية!
يا إخوتى الذين يعبرون في الميدان مطرقين
منحدرين في نهاية المساء
في شارع الإسكندر الأكبر
لاتخجلوا ... ولْترفعوا عيونكم إليْ . !
لأنكم معلَّقون جانبى ... على مشانق القيصر
فلترفعوا عيونكم إليْ.
لربما إذا التقت عيونكم بالموت في عينيْ

---

[1] السابق ص **110**

يبتسم الفناء داخلي

لأنكم رفعتم رأسكم مرة "[1]

ثم يتنازعه الشك في المستقبل وهو الذى كان يؤمن بالمستقبل :

" لاتحلموا بعالم سعيد

فخلف كل قيصرٍ يموت : قيصُر جديد "[2]

وفي توظيف أمل دنقل لابن نوح يفاجأ بالإتهامات مرة أخرى من تلك العقول التى تقرأ النص بنصف عين دون أن تُكمل فهمه ، ومغزاه وسياقه الشعرى.

فابن نوح كما تذكر الآيات القرآنية رفض أن يركب السفينة مع أبيه الرسول نوح عليه السلام عندما أتى الطوفان فغرق ؛ وتحكى الآيات القرآنيه هذا الموقف في قوله تعالى { وهيَ تجرِي بهمْ في موجٍ كالجبالِ ونادى نوحٌ ابنَهُ وكان في مَعْزِلٍ يابنى اركبْ مَعَنا ولا تكنْ مع الكافرين ، قال سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماءِ قال لاعاصِمَ اليومَ من أمرِ الله إلا مَن رحِمَ وَحال بينهُما الموجُ فكانَ منَ المُغْرَقين}[3]

لكن أمل ينظر إلى هذا الابن نظرة العاشق للوطن ففي قصيدته " مقابلة خاصة مع ابن نوح " يقول :

" جاء طوفان نوح

المدينة تغرق شيئا فشيئا

.....

كان شباب المدينة

يلجمون جواد المياه الجموحْ

ينقلون المياه على الكتفين

ويستبقون الزمن ..

يبنون سدود الحجارة

---

[1] أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص 110–111

[2] أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص 112

[3] القرآن الكريم : سورة هود 11/ 42–43

علّهم ينقذون مهاد الصبا والحضاره

علّهم ينقذون الوطن ..

.....

نتحدى الدمار

ونأوي إلى جبل لايموت

(يسمونه الشعب)

نأبى الفرار ، ونأبى النزوح !

.....

كان قلبى الذى نسجته الجروح

كان قلبى الذى لعنته الشروح

يرقد – الآن – فوق بقايا المدينة

وردةً من عَطَنْ

هادئا بعد أن قال " لا " للسفينة

وأحب الوطنْ "[1]

إن أمل يتحدث عن التشبث بالأرض ، بالوطن ، وليس الفرار ، إنه يسعى إلى تحقيق العدل والحرية في الوطن

"قلتُ : فْليكنِ العدل في الأرض لكنه لم يكنْ

.....

ورأى الرب ذلك غير حسنْ "[2]

يصطدم أمل في بحثه عن الحريه بالظلم ، يتمنى أن يتلاشى الظلم من الأرض لكن ذلك حلم مستحيل ؛ وربما هذا الموقف يفسر لنا وقوف أمل ضد عملية الصلح مع إسرائيل .. هل لأنه كان يؤمن بحتمية الصراع حتى يتحقق العدل والسلام لجميع الأقطار العربية ؟ أو أنه كان يرى في وجود أساسيات إتفاقية الصلح مالايكفي

---

[1] أمل دنقل : أوراق الغرفة 8 ص 71 ، 75–76

[2] أمل دنقل : العهد الآتي ص 270 (الأعمال الشعرية الكاملة)

لبناء سلام شامل وعميق بين مصر وإسرائيل ، فقد خرج أمل من المستشفي في نوفمبر1982 لحضور مهرجان حافظ شوقى ورُغم مرضه إلا أنه وقف ليلقى قصيدته " لاتصالح " التى كتبها في نوفمبر 1976 :

" لا تصالِحْ

ولو منحوك الذهب

أترى حين أفقأُ عينيْكَ ، ثم أثبّت جوهرتيْن مكانهما ....

هل ترى ؟

هى أشياء لاتُشترى !

.....

والذي اغتالنى ليس ربًّا ليقتلنى بمشيئته

ليس أنبلَ منّى ليقتلني بسكينته

.....

والذى اغتالنى محض لص

سرق الأرض من بين عيني "[1]

إننى لا أستطيع أن أقول أن أمل كان ضد السلام فلا يوجد شاعر يكره السلام ولاسيما إذا كان أمل كتب عن مأساة الحروب وعن اليتم والفقر ، فإن أكثر اللوحات المؤثرة في قصائده كانت عن تلك المومس التى تراوده عن نفسها ويكتشف أنها زوجة شهيد ! ولوحات الطفلة التى أستشهد أبوها في الحرب لاينساها القارىء ، أى أن أمل لم يكن شاعرا يحب العنف لكنه كان عاشقا للسلام المبني على العدل وهو الذى قال :"يا قاتلى إنى صفحتُ عنك"[2]

عندما نقرأ قول أمل :

" كل صباح أفتح الصّنبور في إرهاق ، مغتسلا في مائه الرقراق

فيسقط الماء على يدى دما"[3]

---

[1] أمل دنقل : أقوال جديدة عن حرب البسوس ص 324 ، 334 ، 335

[2] أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص113 (الأعمال الشعرية الكاملة)

[3] أمل دنقل : تعليق على ما حدث ص 197

نرى مطاردة الدم لأمل حتى في الصنبور بل إن أمل يحكى لنا عن ليلة نزلها في أحد الفنادق ونزل معه غريب في الحجرة ذاتها :

" في الفندق الذى نزلتُ فيه قبل عام
شاركنى الغرفة
.....
وعندما رأى كتاب " الحرب والسلام "
بين يدى : اربدّ وجهُهُ
.....
وكان عائدا من الحرب بلا وسام
.....
وظل يروى القصص الحزينة الختام
.....
وحين ظنّ أننى أنام
رأيته يخلع الساق الصناعية في الظلام !"[1]

إنه يمقت الحرب لكنها قد تكون طريقا لتحقيق السلام والحرية :

" توقفنى المرأة
في استنادها المثير على عمود الضوء
(كانت ملصقات "الفَتْح" والجبهة)
تملأ خلف ظهرها العمودا !
....
تسألنى إن كنت أمضى ليلتى وحيدا
وعندما أرفع وجهى نحوها سعيدا
أبصر خلف ظهرها شهيدا
....

[1] أمل دنقل : تعليق على ماحدث ص 206 ، 207 ، 208

أمضى بلا وجهة !!"[1]

إنه أمل دنقل ينظر إلى كل مشكلات العالم العربى من منظار ماخلفته الحروب ، وما خلفته أساليب القمع والإستبداد ، ولذلك فهو لايفرح بالجنود الذين يمرون في العرض العسكرى لأنه يراهم بنظرته "هو":

" قلتُ لكم مرارا

إن الطوابير التى تمرّ في استعراض عيد الفطر والجلاء

(فتهتف النساء في النوافذ انبهارا)

لاتصنع انتصارا

إن المدافع التى تصطف على الحدود في الصحارى

لاتطلق النيران إلا حين تستدير للوراء

إن الرصاصة التى ندفع فيها ثمن الكسرة والدواء :

لاتقتل الأعداء

لكنها تقتلنا.. إذا رفعنا صوتنا جهارا

تقتلنا ، وتقتل الصغارَ "[2]

إنه يراقب كيف تتحول الجيوش في البلاد النامية من جيوش تحرس الوطن إلى جيوش تلتهم أبناء الوطن إذا طالبوا بالحرية والعدل ، وفي معركته كشاعر يفاجأ أمل بالقمع والمحاصرة ولذلك يكتب قصيدته " من أوراق أبى نُوَاس" بشكل جديد لم يلتفت إليه النقاد :

"أيها الشعرُ ،

ياأيها الفرحُ المخْتَلَسْ

.....

.....

.....

---

[1] أمل دنقل : تعليق على ماحدث ص 198 ، 199

[2] أمل دنقل : تعليق على ماحدث ص 210

.....

كل ماكنتُ أكتبُ في هذه الصفحة الورقية

صادرته العسَسْ "[1]

والنقط الموجودة هنا هى نقط وضعها أمل في أصل قصيدته بخطه هو دليلا على ماصادرته العسس ؛ ولم يبح به وهو تجديد شعرى من أمل بتحميل النقط مضامين معانية لكلمات غائبة .

وقد حمل أمل على كل الحكام العرب الذين كانوا يشغلون أنفسهم بقضايا هامشية ويتركون قضية الشعب :

" لاتسألنى إن كان القرآن

مخلوقًا أو أزليْ

بل سلنى : إن كان السلطان

لصًّا أو نصف نبيْ"[2]

إن أمل قد وظف شعره للدفاع عن الحرية وتحقيقها ، وكافح حتى يشعر الناس بحقيقة مايعيشون فيه من ظلم واضطهاد ، ولكن ذلك – كما قلت آنفا – لم يجعله ينزلق إلى الخطابية التقريرية بل يحافظ على شاعريته ورسم صور خاصة جدا :

"رؤوسنا تسقطُ لايسندها

إلا حواف الياقة المنتصبة "[3]

أو قوله : " في الشارع أتلاقى – في ضوء الصبح – بظلي الفارغ

نتصافح بالأقدام"[4]

وعندما خرج الطلاب في مظاهرة 1972 كانوا يرددون أشهر قصيدة سياسية لأمل وهى قصيدة " الكعكة الحجرية" التى تحولت إلى شعار للحركة الطلابية :

"أيها الواقفون على حافة المذبحة

---

[1] أمل دنقل: العهد الآتي ص 311 ؛ ونموذج خطي للصفحة بقلم أمل دنقل في كتاب الجنوبي ص33

[2] السابق 313

[3] أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص 163 (الأعمال الشعرية الكاملة)

[4] السابق ص137

أشهِروا الأسلحة

سقط الموت وانفرد القلب كالمسبحة

والدم انساب فوق الوشاح

المنازل أضرحة

والزنازن أضرحة

والمدى أضرحة

فارفعوا الأسلحة

واتبعوني

أنا ندم الغد والبارحة

رايتى عظمتان وجمجمة

وشعاري الصباح"[1]

(2) الموت :

يلعب الموت مع أمل لعبة النهاية ، ولأن كلا منهما يعرف صاحبه فإنهما يتسامران ويتضاحكان ويتشاجران في لعبة ماكرة ، وتطغى لوحات الموت على أمل منذ طفولته كما رأينا ؛ وفاة الأب ، وفاة الأخت ، وفاة الأصدقاء ثم يرقب أمل وفاته شخصيا ..... ويلحظ في تناول أمل للموت أنه لايتناول الميّت ذاته بل يتناول الميت من زاوية إنعكاس موته على الآخر ، وجاءت على النحو التالى

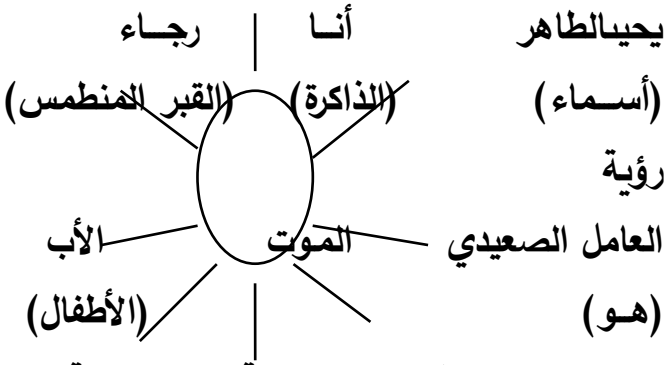

[1] أمل دنقل : العهد الآتى ص 274 – 275

فهو لايصف الميت ، وإنما يصف ذكرياته عنه ؛ أو تخيله عنه ؛ أو انعكاس موته على فاعِل موجود أو غائب أو متخيّل ، وتظل قصيدة " الموت في لوحات " دليلا على ماذهبتُ إليه ؛ كما تتجسد رؤية الموت العميقة في ديوان " أوراق الغرفة 8 " وهى القصائد التى كتبها قبيل موته، إنك تلمس الموت في كل صفحة من صفحات الديوان ، بل في كل كلمة من كلماته ، وبأسلوب مدهش، كيف يتعامل الشاعر مع الموت ؟

وكم كان يوسف إدريس على حق عندما قال معقبا على قصيدة الجنوبي وهى من أواخرالقصائد التي كتبها أمل –كما ذكرت من قبل –:

" بدأت أخاف من رؤياه المستحيلة ، إذْ كنت بدأت أراها ، ..... وبدأتْ تحتلّ عليّ تفكيري ، حتى إنى رفضتُ تماما أن أقرأ قصيدة " الجنوبي "الأخيرة ، فقد كنت متأكدا تماما، أني لو قرأتها لاكتملت ا لرؤية ؛ ولمتّ مثله ومعه"[1]

ففي قصيدة الجنوبي يطلّ علينا أمل المحتضِر ، المحب للموت ، المشتهى لرؤية الحقيقة، يبدأها أمل برؤية إرتداد الذاكرة Flashback؛ والتساؤل المخيف :

"هل أنا كنت طفلا

أم أن الذى كان طفلا سواي ؟"[2]

إنه التساؤل الذى لايحتاج إلى إجابة ؛ لكنه يحتاج إلى إستحضار الموت ، ولذلك مضى أمل في مونولوج ذاتى Inner Monolog

"صرتُ عني غريبا

ولم يتبق من السنوات الغريبة

إلا صدى اسمى

وأسماء من أتذكرهم فجأة

بين أعمدة النعي

---

[1] عبلة الرويني : الجنوبي ص **131**

[2] أمل دنقل : أوراق الغرفة **8** ص **9**

أولئك الغامضون .. رفاق صباي
يُقْبِلون من الصمت وجهًا فوجها
فيجتمع الشمل كل صباح
لكى نأتنس .."[1]

وهنا نلمح عودة ذاكرة أمل إلى القرية وإلى الناس الطيبين البسطاء الذين رحلوا قبيله لكنهم يلتفون حول سريره كل صباح كى يُؤْنِسوه في وحدته الصاخبة ؛ ثم يرسم لوحات لوجه صديق مجهول مات قبله وقد يكونه :

" عاد كما كان طفلا
يشاركنى في سريري
وفي كسرة الخبز ، والتبغ
لكنه لايشاركني في المرارة "[2]

ثم يرسم أمل وجه عامل جنوبي يرقبه أمل بينما يصعد سقالة في القاهرة ويسقط من علٍ:

"لم أجد غير عينين لا تبصران
وخيطَ الدماء
وانحنيتُ عليه .. أجسُّ يده
قال آخر : لافائدة
صار نصف الصحيفة كل الغطاء
وأنا في العراء"[3]

إن الجنوب عند أمل يمشى معه ، ويسكنه ، وهو في لحظات إحتضاره لاينسى هذا العامل المجهول الذى سقط غريباً ذات يوم ؛ وتمكن الموت أن يخدعه ويسقطه على الأرض ميتاً ؛ ثم يتذكر وجه صديقه يحيى الطاهر عبدالله الذى مات في حادث سيارة في 1981/4/9 ولم يحاول أمل أن يرثيه إلا في هذه القصيدة

---

[1] السابق ص10

[2] السابق ص 14

[3] أمل دنقل : أوراق الغرفة 8 ص 17

الأخيرة.. ثم تأتى المواجهة الأخيرة مع الموت في آخر لوحة من لوحات القصيدة " مرآة " وحنين أمل إلى رؤية الحقيقة دونما أقنعة .

وفي قصيدة " لعبة النهاية " يتحول الصراع مع الموت إلى صراع ظاهر ، تستطيع أنت أن تراه ، هاهو الموت:

" في الميادين يجلس
يطلق كالطفل نبلته بالحصى
فيصيب بها من يصيب من السابلة !
يتوجه للبحر ،
في ساعة المدّ
يطرح في الماء سنارة الصيد
ثم يعود
ليكتب أسماء من علقوا
في أحابيله القاتلة !
لايحب البساتين
لكنه يتسلل من سورها المتآكل
يصنع تاجا
جواهره الثمرُ المتعفن
إكليله الورق المتغضن
يلبسه فوق طوق الزهور الخريفية الذابلة !
يتحول أفعى ونايا
فيرى في المرايا
جسديْن وقلبين متحدين
تغيم الزوايا ، وتحكى العيون حكايا
فينسلّ بينهما
مثل خيط من العرق المتفصد
يلعق دفء مسامهما

يغرس الناب في موضع القلب

تسقط رأس الفتى في الغطاء

وتبقى الفتاة محدقة ، ذاهلةْ !

أمس : فاجأته واقفا بجوار سريري

ممسكا – بيد – كوبَ ماء

ويدٍ – بحبوب الدواء

فتناولتها ...!!

كان مبتسما

وأنا كنت مستسلما لمصيري"[1]

إنها لعبة النهاية حيث يستسلم أمل أمام جبروت الموت الذى فاجأه رغم توقعه له ومراقبة أمل لأفعال الموت في البشر إلا أن فجاءة الموت شلت تفكيره فابتسم الموت .

وهذه القصيدة تبدو متشابهةً إلى حد كبير مع قصة الطيب صالح القصيرة "الرجل القيرصي"

وتبدو قصيدة " زهور " متفردة في بابها في الأدب المصري ، فالشاعر يصف ذاته من خلال وصفه للزهور المهداة إليه ، وحيث تقصف أيدي البستانى الورد يقصف الزمن روح أمل ، وحين تتنفس الزهور في حشرجة ، وترفع رأسها في كبرياء المحتضر النبيل ، يرفع أمل رأسه وهو يحتضر، لكى يتطلع إلى الزهور في نظرة مغايرة لرؤانا نحو الأشياء.

إننا نحاول أن نضع للزهور قليلا من الماء حتى تحيا ولاتذبل ، بينما ينظر أمل نظرة مغايرة للزهور ، نظرة تقلب الرؤى المتوارثة ، إنه يعيد صياغة الأشياء من جديد ، إنه يفاجئك أن ماتعرفه توارثا خطأ ، وأن عقلك ينبغى أن يحدد جوانب المعرفة ، يقول :

زهور

---

[1] أمل دنقل : أوراق الغرفة 8 ص ص 41 –44

"وسلالٍ من الورد ،
ألمحها بين إغفاءةٍ وإفاقة
وعلى كل باقه
إسم حاملها في بطاقه
.....
تتحدث لى الزهرات الجميلة
أن أعينها اتسعت – دهشةً –
لحظةَ القطفِ ،
لحظة القصفِ ،
لحظة إعدامها في الخميلة !
تتحدث لى انها سقطت من على عرشها في البساتين ،
ثم أفاقت على عرضها في زجاج الدكاكين ، أوبين أيدى المنادين ،
حتى اشترتها اليدالمتفضلة العابرة !
تتحدث لي ...
كيف جاءت إليَّ ...
(وأحزانها الملكية ترفع أعناقها الخضر)
كى تتمنى لى العمر !
وهى تجود بأنفاسها الآخرة !!
كل باقة ...
بين إغماءة وإفاقه ...
تتنفس مثلي – بالكاد – ثانيةً ... ثانية
وعلى صدرها حملت – راضيه –
اسم قاتلها في بطاقة ! "[1]

[1] أمل دنقل : أوراق الغرفة 8 ص 27 – 28

وتعتمد قصيدة " ضد من؟"على الثنائية المتضادة التى تعكس أحادية الرؤية لدى أمل ، ففي الغرفة رقم 8 يتأمل هذه الألوان التى يراها لكنه لا يرى منها – بإحساسه الشاعرى– سوى لونين : الأبيض والأسود.

الأبيض الذى يرمز لدى أمل إلى الموت والرحيل القريب على عكس رؤية الآخرين حيث يرون فيه رمزا للتفاؤل ، إن أمل يتطلع حواليه فلا يرى سوى هذا اللون البيض في غرفة العمليات وملابس الأطباء والممرضات وملاءات الأسرة وفي أربطة الشاش والقطن وفي الحبوب المنومة وكوب اللبن ... الــخ كل هذه الأشياء يوحد بينها اللون الأبيض الذى لايُذَكّر أمل إلا بلون الكفن ... الذى يقول عنه في قصيدته " إلى محمود حسن إسماعيل .. في ذكراه ":

" إن البياض الوحيد الذى نرتجيه

البياض الوحيد الذى نتوحد فيه :

بياض الكفن !"[1]

وهنا نرى أمل ينشد العدل والمساواة ويتخذ من اللون البيض قاسما مشتركا بين الناس حيث تختفي الطبقية ولكن رؤيته هذه تكاد تصطدم مع رؤيته باللون الأبيض في قصيدة " ضد من " فإذا كان اللون الأبيض هو مايرتجيه أمل في قصيدة محمود حسن إسماعيل فإن اللون الأبيض يغدو منفّرا لأمل إذ يذكره بالموت والرحيل بيد أننا لو أخذنا رؤية أمل تجاه موت محمود حسن إسماعيل من جهة ؛ وانتظاره للموت من جهة أخرى حيث يوحد الموت بين الشاعرين فإنه لاتناقص في هذه الحالة .

ثم يتحدث أمل عن اللون الثانى وهو الأسود الذى يرى فيه رمزا للتشبث بالحياة وأن كل معزٍ يرتدى الملابس السوداء كتميمة ضد الفناء .

ومن التضاد ينفذ أمل إلى ثنائية الرؤى بين هذا القلب الذى يخفق وبين انتظار توقف هذا القلب ؛ بين أصدقائه الذين ينقسمون إلى قسمين : فريق يرى أن سرير

---

[1] السابق ص **104**

أمل قبرُه ؛ ولا أمل في البقاء ؛ وفريق آخر يرى أن حياته دهر طويل ، وربما كان يرمز هنا إلى تعدد الرؤى نحو شعره.

يقول أمل في قصيدة " ضد من "

" في غرف العمليات ،

كان نقاب الأطباء أبيض ،

لون المعاطف أبيض ،

تاج الحكيمات أبيض ،

أردية الراهبات ، الملاءات ،

لون الأسرَّة ، أربطة الشاش والقطن ،

قرص المنوِّم ، أنبوبة المصل ،

كوب اللبْن .

كل هذا يشيع بقلبى الوهنْ .

كل هذا البياض يذكرنى بالكفنْ !

فلماذا إذا متّ ...

يأتى المعزّون متشحين بشارات لون الحداد ؟

هل لأن السواد ...

هو لون النجاةِ من الموتِ ،

لون التميمةِ ضدّ الزمنْ ،

ضدّ مَنْ .... ؟

ومتى القلب في الخفقان اطمأن

بين لونيْن أستقبل الأصدقاء ،

الذين يرون سريري قبرا

وحياتي دهرا ...

وأرى في العيون العميقة ...

لـونَ الحقيقة ...

لون تراب الوطن ."[1]

إن الفصل بين حياة أمل وشعره محاولة عبثية ، لأن الشاعر الإنسان هو الإنسان الشاعر ، ووضح ذلك تماما أمل دنقل الذى " كان فتى، لم يكن يملك إلا مبدأه"[2]

[1] أمل دنقل : أوراق الغرفة 8 ص 21 – 22

[2] أمل دنقل : مقتل القمر ص 53 (الأعمال الشعرية الكاملة)

1a

زهور **أمل دنقل**

"وسلالٍ من الورد ،
ألمحها بين إغفاءةٍ وإفاقة
وعلى كل باقه
إسم حاملها في بطاقه
تتحدث لى الزهرات الجميلة
أن أعينها اتسعت – دهشةً –
لحظةَ القطفِ ،
لحظة القصفِ ،
لحظة إعدامها في الخميلة !
تتحدث لى انها سقطت من على عرشها في البساتين ،
ثم أفاقت على عرضها في زجاج الدكاكين ، أوبين أيدى المنادين ،
حتى اشترتها اليدالمتفضلة العابرة !
تتحدث لي ...
كيف جاءت إليَّ ...
(وأحزانها الملكية ترفع أعناقها الخضر)
كى تتمنى لى العمر !
وهى تجود بأنفاسها الآخرة !!
كل باقة ...
بين إغماءة وإفاقه ...
تتنفس مثلي – بالكاد – ثانيةً ... ثانية
وعلى صدرها حملت – راضيه –
اسم قاتلها في بطاقة ! "[1]

---

[1] أمل دنقل : أوراق الغرفة 8 ص 27 – 28

شعر أمل دنقل

" ضد من "

" في غرف العمليات ،

كان نقاب الأطباء أبيض ،

لون المعاطف أبيض ،

تاج الحكيمات أبيض ،

أردية الراهبات ، الملاءات ،

لون الأسرَّة ، أربطة الشاش والقطن ،

قرص المنوِّم ، أنبوبة المصل ،

كوب اللبْن .

كل هذا يشيع بقلبى الوهنْ .

كل هذا البياض يذكرنى بالكفنْ !

فلماذا إذا متّ ...

يأتى المعزّون متشحين بشارات لون الحداد ؟

هل لأن السواد ...

هو لون النجاةِ من الموتِ ،

لون التميمةِ ضدّ الزمنْ ،

ضدّ مَنْ .... ؟

ومتى القلب في الخفقان اطمأن

بين لونيْن أستقبل الأصدقاء ،

الذين يرون سريري قبرا

وحياتي دهرا ...

وأرى في العيون العميقة ...

لـونَ الحقيقة ...

لون تراب الوطن ."[1]

---

[1] أمل دنقل : أوراق الغرفة 8 ص 21 – 22

صورة

هل أنا كنت طفلا..

أم أن الذي كان طفلا سواي؟

هذه الصور العائلية..

كان أبي جالسا، وأنا واقف.. تتدلي يداي!

رفسة من فَرَسْ

تركت في جبيني شجا، وعلَّمت القلب أن يحترس.

أتذكر..

سال دمي

أتذكر..

مات أبي نازفا.

أتذكر..

هذا الطريق إلي قبره..

أتذكر..

أختي الصغيرة ذات الربيعين.

لا أتذكر حتي الطريق إلي قبرها

المنطمس

أوَكان الصبي الصغير أنا ؟

أم تري كان غيري؟

أحدِّق..

لكن تلك الملامح ذات العذوبة.

لاتنتمي الآن لي.

والعيون التي تترقرق بالطيبة

الآن لاتنتمي لي.

صرتُ عني غريبا،
ولم يتبقَّ من السنوات الغريبة.
إلا صدي اسمي..
وأسماء من أتذكرهم فجأة
بين أعمدة النعي،
أولئك الغامضون : رفاق صباي.
يقبلون من الصمت وجها فوجها..
فيجتمع الشمل كل صباح،
لك نأتنس.

وجه
كان يسكن قلبي
وأسكن غرفتهُ
نتقاسم نصف السرير،
ونصف الرغيف،
ونصف اللفافة،
والكتب المستعارةْ.
هجرته حبيبته في الصباح فمزق شريانه في المساء،
ولكنه بعد يومين مزق صورتها..
واندهشْ.
خاض حربين بين جنود المظلات..
لم ينخدشْ
واستراح من الحرب..
عاد ليسكن بيتا جديدا
ويكسب قوتا جديدا
يدخن علبة تبغ بكاملها

ويجادل أصحابه حول أبخرة الشاي..
لكنه لايطيل الزيارة..
عندما احتقنت لوزتاه، استشار الطبيب،
وفي غرفة العمليات..
لم يصطحب أحدا غير خُف..
وأنبوبة لقياس الحرارةْ،
فجأة مات!
لم يحتمل قلبه سريان المخدر،
وانسحبت من علي وجهه سنواتُ العذابات،
عاد كما كان طفلا..
يشاركني في سريري
وفي كسرة الخبز، والتبغ،
لكنه لايشاركني.. في المرارة!

وجه
من أقاصي الجنوب أتي ، عاملا
للبناء
كان يصعد سقالة ويغني لهذا الفضاء
كنت أجلس خارج مقهي قريب،
وبالأعين الشاردة..
كنت أقرأ نصف الصحيفة،
والنصف أخفي به وسخ المائدة.
لم أجد غير عينين لاتبصران..
وخيط الدماء..
وانحنيت عليه.. أجسّ يدّهْ
قال آخر: لافائدة

صار نصف الصحيفة كل الغطاء
وأنا.. في العراء

وجه
ليت أسماء تعرف أن أباها صّعّدْ
لم يمتْ
هل يموت الذي كان يحيا
كأن الحياة أبدْ!
وكأن الشراب نفدْ!
وكأن البنات الجميلات يمشين فوق الزبدْ!
عاش منتصبا، بينما
ينحني القلب يبحث عما فقدْ.
ليت 'أسماء 'تعرف أن أباها الذي.
حفظ الحب والأصدقاء تصاويره..
وهو يضحك،
وهو يفكر،
وهو يفتش عما يقيم الأودْ.
ليت 'أسماء' تعرف أن البنات الجميلات..
خبأنه بين أوراقهن،
وعلمنه أن يسير..
ولايلتقي بأحد!

مرآة

هل تريد قليلا من البحر؟

إن الجنوبي لايطمئن إلي اثنين ياسيدي:
البحر والمرأة الكاذبة.

سوف آتيك بالرمل منه
..وتلاشي به الظل شيئا فشيئا،
فلم أستبنه

هل تريد قليلا من الخمر؟

إن الجنوبي ياسيدي يتهيب شيئين:
قنينة الخمر والآلة الحاسبة.

سوف آتيك بالثلج منه.
وتلاشي به الظل شيئا فشيئا..
فلم أستبنه.
بعدها لم أجدْ صاحبيٌّ
لم يعد واحد منهما لي بشيٌ
هل تريد قليلا من الصبر؟
لا..
فالجنوبي ياسيدي يشتهي أن يكون الذي لم يكنه
يشتهي أن يلاقي اثنتين:
الحقيقة والأوجه الغائبة.

لا تصالحْ

أمل دنقل

(1)

لا تصالحْ!

..ولو منحوك الذهب

أترى حين أفقأ عينيك

ثم أثبت جوهرتين مكانهما..

هل ترى..؟

هي أشياء لا تشترى...:

ذكريات الطفولة بين أخيك وبينك،

حسُّكما فجأةً بالرجولةِ،

هذا الحياء الذي يكبت الشوق.. حين تعانقُهُ،

الصمتُ مبتسمين لتأنيب أمكما.. وكأنكما

ما تزالان طفلين!

تلك الطمأنينة الأبدية بينكما:

أنَّ سيفانِ سيفَكَ..

صوتانِ صوتَكَ

أنك إن متَّ:

للبيت ربٌّ

وللطفل أبْ

هل يصير دمي بين عينيك ماءً؟

أتنسى ردائي الملطَّخَ بالدماء..

تلبس فوق دمائي ثيابًا مطرَّزَةً بالقصب؟

إنها الحربُ!
قد تثقل القلبَ..
لكن خلفك عار العرب
لا تصالحْ..
ولا تتوخَّ الهرب!
(2)
لا تصالح على الدم.. حتى بدم!
لا تصالح! ولو قيل رأس برأسٍ
أكلُّ الرؤوس سواءٌ؟
أقلب الغريب كقلب أخيك؟!
أعيناه عينا أخيك؟!
وهل تتساوى يدٌ.. سيفها كان لك
بيدٍ سيفها أشْكَلك؟
سيقولون:
جئناك كي تحقن الدم..
جئناك. كن يا أمير الحكم
سيقولون:
ها نحن أبناء عم.
قل لهم: إنهم لم يراعوا العمومة فيمن هلك
واغرس السيفَ في جبهة الصحراء
إلى أن يجيب العدم
إنني كنت لك
فارسًا،
وأخًا،
وأبًا،

ومَلِك!

(3)

لا تصالح ..

ولو حرمتك الرقاد

صرخاتُ الندامة

وتذكَّر..

(إذا لان قلبك للنسوة اللابسات السواد ولأطفالهن الذين تخاصمهم الابتسامة)

أن بنتَ أخيك "اليمامة"

زهرةٌ تتسربل في سنوات الصبا

بثياب الحداد

كنتُ، إن عدتُ:

تعدو على دَرَجِ القصر،

تمسك ساقيَّ عند نزولي..

فأرفعها وهي ضاحكةٌ

فوق ظهر الجواد

ها هي الآن.. صامتةٌ

حرمتها يدُ الغدر:

من كلمات أبيها،

ارتداءِ الثياب الجديدةِ

من أن يكون لها ذات يوم أخٌ!

من أبٍ يتبسَّم في عرسها..

وتعود إليه إذا الزوجُ أغضبها..

وإذا زارها.. يتسابق أحفادُه نحو أحضانه،

لينالوا الهدايا..

ويلهوا بلحيته (وهو مستسلمٌ)

ويشدُّوا العمامة..
لا تصالح!
فما ذنب تلك اليمامة
لترى العشَّ محترقًا.. فجأةً،
وهي تجلس فوق الرماد؟!
(4)
لا تصالح
ولو توَّجوك بتاج الإمارة
كيف تخطو على جثة ابن أبيكَ..؟
وكيف تصير المليكَ..
على أوجهِ البهجة المستعارة؟
كيف تنظر في يد من صافحوك..
فلا تبصر الدم..
في كل كف؟
إن سهمًا أتاني من الخلف..
سوف يجيئك من ألف خلف
فالدم الآن صار وسامًا وشارة
لا تصالح،
ولو توَّجوك بتاج الإمارة
إن عرشَك: سيفٌ
وسيفك: زيفٌ
إذا لم تزنْ بذؤابته لحظاتِ الشرف
واستطبت الترف
(5)
لا تصالح

ولو قال من مال عند الصدامْ
".. ما بنا طاقة لامتشاق الحسام.."
عندما يملأ الحق قلبك:
تندلع النار إن تتنفَّسْ
ولسانُ الخيانة يخرس
لا تصالح
ولو قيل ما قيل من كلمات السلام
كيف تستنشق الرئتان النسيم المدنَّس؟
كيف تنظر في عيني امرأة..
أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها؟
كيف تصبح فارسها في الغرام؟
كيف ترجو غدًا.. لوليد ينام
كيف تحلم أو تتغنى بمستقبلٍ لغلام
وهو يكبر بين يديك بقلب مُنكَّس؟
لا تصالح
ولا تقتسم مع من قتلوك الطعام
وارْوِ قلبك بالدم..
وارْوِ التراب المقدَّس..
وارْوِ أسلافَكَ الراقدين..
إلى أن تردَّ عليك العظام!
(6)
لا تصالح
ولو ناشدتك القبيلة
باسم حزن "الجليلة"
أن تسوق الدهاءَ

وتُبدي لمن قصدوك القبول
سيقولون:
ها أنت تطلب ثأرًا يطول
فخذ الآن ما تستطيع:
قليلاً من الحق..
في هذه السنوات القليلة
إنه ليس ثأرك وحدك،
لكنه ثأر جيلٍ فجيل
وغدًا..
سوف يولد من يلبس الدرع كاملةً،
يوقد النار شاملةً،
يطلب الثأرَ،
يستولد الحقَّ،
من أَضْلُع المستحيل
لا تصالح
ولو قيل إن التصالح حيلة
إنه الثأرُ
تبهتُ شعلته في الضلوع..
إذا ما توالت عليها الفصول..
ثم تبقى يد العار مرسومة (بأصابعها الخمس)
فوق الجباهِ الذليلة!
(7)
لا تصالحْ، ولو حذَّرتْك النجوم
ورمى لك كهَّانُها بالنبأ..
كنت أغفر لو أنني متُّ..

ما بين خيط الصواب وخيط الخطأ.
لم أكن غازيًا،
لم أكن أتسلل قرب مضاربهم
لم أمد يدًا لثمار الكروم
لم أمد يدًا لثمار الكروم
أرض بستانِهم لم أطأ
لم يصح قاتلي بي: "انتبه"!
كان يمشي معي..
ثم صافحني..
ثم سار قليلاً
ولكنه في الغصون اختبأ!
فجأةً:
ثقبتني قشعريرة بين ضلعين..
واهتزَّ قلبي كفقاعة وانفثأ!
وتحاملتُ، حتى احتملت على ساعديَّ
فرأيتُ: ابن عمي الزنيم
واقفًا يتشفَّى بوجه لئيم
لم يكن في يدي حربةٌ
أو سلاح قديم،
لم يكن غير غيظي الذي يتشكَّى الظمأ

(8)

لا تصالحُ..
إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة:
النجوم.. لميقاتها
والطيور.. لأصواتها

والرمال.. لذراتها
والقتيل لطفلته الناظرة
كل شيء تحطم في لحظة عابرة:
الصبا بهجةُ الأهل صوتُ الحصان التعرفُ بالضيف همهمةُ القلب حين يرى برعماً في الحديقة يذوي الصلاةُ لكي ينزل المطر الموسميُّ مراوغة القلب حين يرى طائر الموتِ وهو يرفرف فوق المبارزة الكاسرة
كلُّ شيءٍ تحطَّم في نزوةٍ فاجرة
والذي اغتالني: ليس ربًا..
ليقتلني بمشيئته
ليس أنبل مني.. ليقتلني بسكينته
ليس أمهر مني.. ليقتلني باستدارتِهِ الماكرة
لا تصالحْ
فما الصلح إلا معاهدةٌ بين ندَّينْ..
(في شرف القلب)
لا تُنتقَصْ
والذي اغتالني مَحضُ لصْ
سرق الأرض من بين عينيَّ
والصمت يطلقُ ضحكته الساخرة!

(9)

لا تصالح
ولو وقفت ضد سيفك كل الشيوخ
والرجال التي ملأتها الشروخ
هؤلاء الذين تدلت عمائمهم فوق أعينهم
وسيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشموخ
لا تصالح

فليس سوى أن تريد
أنت فارسُ هذا الزمان الوحيد
وسواك.. المسوخ!

(10)

لا تصالحْ
لا تصالحْ

قصيدة الحب . . والأشياء

للشاعر حامد طاهر (1943-)

.. وأمام الواجهة المَلأى بفساتين الصيف ،
وأشياء الزينةْ ؟
كانت تتوقفُ عيناكِ على ثوب معروضٍ فى زاوية ملعونةْ!
وتشدين بكفيك ذارعىّ :
ـ ما رأيك ؟
لا طَعْمَ لهُ !
ونشقّ زحامَ الناسِ ،
نشقّ زحام الناس بخطواتٍ .. مطعونَةْ !

*** ***

وعلى شط النيل الممتدّ
كنا نمشى ساعاتٍ لا نُجْهَدْ
ونحاول أن ننسى لون الفستانْ
فنقولُ كلاماً حلواً عن غدنا المفروش بوردْ
وكثيراً ما كنتِ تغنّين قصيدتّى الأولى .."
تلك الكلمات الخجلى ..
عن عينيكِ
وأشواقى
وليالى السهدْ !
فإذا جاء الليل ، رجعنا
أقسمنا . . أنَّا
أروع من هذى الدنيا
والخد على الخدُّ !
*** ***
لَيْلَى
كم من صيفٍ ولَّى !
واليوم أعودُ إلى واجهة الأمسْ
فى جيبى ثمنُ الفستانْ
عيناىَ عليهْ
لكن ذراعىَ مرخاهْ ..
مرخاة فى يأسْ !

(من ديوان حامد طاهر 1985)

بهاء الدين زهير

1. **غَيري عَلى السَلوانِ قادِر وَسِوايَ في العُشّاقِ غادِر**
2. **لي في الغَرامِ سَريرَةٌ وَاللَهُ أَعلَمُ بِالسَرائِر**
3. **وَمُشَبَّهٌ بِالغُصنِ قَل بي لا يَزالُ عَلَيهِ طائِر**
4. **حُلوُ الحَديثِ وَإِنَّها لَحَلاوَةٌ شَقَّت مَرائِر**
5. **أَشكو وَأَشكُرُ فِعلَهُ فَاَعجَب لِشاكٍ مِنهُ شاكِر**
6. **لا تُنكِروا خَفَقانَ قَلـ بي وَالحَبيبُ لَدَيَّ حاضِر**
7. **مَا لقَلبُ إلّا دارُهُ ضُرِبَت لَهُ فيها البَشائِر**
8. **يا تارِكي في حُبّهِ مَثَلاً مِنَ الأَمثالِ سائِر**
9. **أَبَداً حَديثي لَيسَ بِال مَنسوخِ إلّا في الدَفاتِر**
10. **يا لَيلُ مالَكَ آخِرٌ يُرجى وَلا لِلشَوقِ آخِر**
11. **يا لَيلُ طُل ياشَوقُ دُم إنّي عَلى الحالَينِ صابِر**
12. **وَمُشَبَّهٌ بِالغُصنِ قَل بي لا يَزالُ عَلَيهِ طائِر**
13. **لِيَ فيكَ أَجرُ مُجاهِدٍ إِن صَحَّ أَنَّ اللَيلَ كافِر**
14. **طَرفي وَطَرفُ النَجمِ فيـ كَ كِلاهُما ساهٍ وَساهِر**
15. **يَكفيكَ بَدرُكَ حاضِرٌ يا لَيتَ بَدري كانَ حاضِر**
16. **حَتّى يَبينَ لِناظِري مَن مِنهُما زاهٍ وَزاهِر**
17. **بَدري أَرَقُّ مَحاسِناً وَالفَرقُ مِثلُ الصُبحِ ظاهِر**

البهاء زهير

قال صاحب الوافي بالوفيات :زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر الأديب البارع الكاتب بهاء الدين أبوالفضل وأبو العلاء الأزدي المهلبي المكي ثم القوصي المصري الشاعر.

ولد سنة إحدى وثمانين وخمس مائة وتوفي سنة ست وخمسين وست مائة، ومولده بمكة

أرقٌ على أرقٍ

أبو الطيب المتنبي

أرقٌ علـــى أرقٍ ومثـــلي يـأرقُ

وجوىً يزيـدُ وعَبـــرةٌ تترقْـرقُ

جُـهـدُ الصَّبابـةِ أن تكـونَ كـــما أرى عَـيْنٌ مُسَهّــدةٌ وقـَلْـبٌ يَخْـفـقُ
مـــا لاح بـرقٌ أو تـَرَنّـَم طـــائرٌ إلا انْـثَـنَـيـتُ ولي فـؤادٌ شيِّـقُ
جَرَّبتُ مِنْ نـارِ الهَـوى مـا تَنطفي نارُ الغَـضى وتَكِـلُّ عَـمَّـا تُحرِقُ
وعَـذَلتُ أهـلَ العشقِ حـتّـى ذقْـتـُهُ فعَجِـبْـتُ كـيْـف يَموتُ مَـنْ لا يَعْشَـقُ
وعـذرتُهـم وعـرفـتُ ذنبـيَ أنني عَـيّرتُهمُ فـلَـقِـيتُ فـيهِ مـا لَقُـوا
أبني أبينـا نـحن أهـــلُ مـنـازلٍ أَبَـدا غـرابُ البَـيْنِ فيهـا ينعَـقُ
تبكي عـــلى الدنيا ومـا مـن معشـرٍ جَـمَـعَـتْـهـمُ الـدُّنـيـا فـلـم يتفرّقوا
أين الأكاسـرةُ الجبابـــرةُ الألى كـنزوا الكـنـوزَ فـما بقِينَ ومـا بَقُوا
مِن كلّ من ضاقَ الفضاءُ بجيشـهِ حتى ثوى فحَـواهُ لحْـدٌ ضَيِّـقُ
خرسٌ إذا نودوا كأنْ لم يعلمـوا أن الكلامَ لهـم حـلالٌ مُطلَـقُ
والمـوتُ آتٍ والنفـوسُ نفـائسٌ والمُستغِّـر بمـا لديـهِ الأحمـقُ
والمرءُ يأمـلُ والحيـاةُ شَهِيـَّةٌ والشَيْـبُ أوقَـرُ والشبيبـةُ أنزقُ
ولقدْ بكيْتُ على الشبابِ ولمتي مُسْـوَدّةٌ ولـماءِ وجهـيَ رونَـقُ
حـَذَراً عليهِ قبلَ يومِ فِراقِـــهِ حتى لكِـدتُ بماءِ جَفنيَ أشرُقُ
أمّا بنو أوسِ بن معنِ ابن الرضـا فأعـزُّ مـن تُحدى إليـهِ الأينـُق
كبّرْتُ حـولَ ديارهِـمْ لمّا بَـدتْ منها الشموسُ وليس فيها المَشرقُ
وعَجِبْتُ من أرضٍ سحابُ أكُفِّهِـمْ من فوقِهـا وصُخورُها لا تُـورِقُ
وتفـوحُ من طِيبِ الثَّنـاءِ روائحٌ لهـمُ بكـلِّ مكانـةٍ مُتَنَشَّـقُ
مِسْكِيـَّـةُ النَفَحـاتِ إلا أنَّهـا وحْشِيـّةٌ بسواهُـمُ لا تعْبَـقُ
أمُريـدَ مثـلِ مُحمّـدٍ في عصـرِنا لا تَبلُنا بطِـلابِ مـا لا يُلحَـقُ

يا ذا الذي يَهَبُ الجزيلَ وعنــدَهُ أنـي عليـــهِ بأخـــذهِ أتصَـدّقُ
أمطِـرْ عليَّ سحابَ جـودِك ثَرَةً وانظــرْ إلـيَّ برحمــةٍ لا أغــرقُ

:

أبو الطيب المتنبي (303 ـ 354 هـ / 915 ـ 965 م) ، هو أحمد بن حسين الكوفي

البحتري

صُنْتُ نَفْسِي عَمّا يُدَنّس نفسي، وَتَرَفّعتُ عن جَدا كلّ جِبْسِ

وَتَماسَكْتُ حَينُ زَعزَعني الدّهْـ ـرُ التماساً منهُ لتَعسِي، وَنُكسي

بُلَغٌ منْ صُبابَةِ العَيشِ عندِي، طَفّفَتْها الأيّامُ تَطفيفَ بَخْسِ

وَبَعيدٌ مَا بَينَ وَارِدِ رِفْهٍ، عَلَلٍ شُرْبُهُ، وَوَارِدِ خِمْسِ

وَكَأنّ الزّمَانَ أصْبَحَ مَحْمُو لاً هَوَاهُ معَ الأخَسّ الأخَسّ

وَاشترَائي العرَاقَ خِطّةَ غَبْنٍ، بَعدَ بَيعي الشّآمَ بَيعةَ وَكْسِ

لا تَرُزْني مُزَاوِلاً لاخْتبَارِي، بعد هذي البَلوَى، فتُنكرَ مَسّي

وَقَديماً عَهدْتَني ذا هَنَاتٍ، آبياتٍ، على الدّنياتِ، شُمْسِ

وَلَقَدْ رَابَني نُبُوُّ ابنِ عَمّي، بَعد لينٍ من جانبَيهِ، وأُنْسِ

وإذا ما جُفيتُ كنتُ جديرّاً أنْ أُرَى غيرَ مُصْبحٍ حَيثُ أُمسِي

حَضَرَتْ رَحليَ الهُمُومُ فَوَجّهْـ ـتُ إلى أبيَضِ المَدائنِ عُنْسِي

أتَسَلّى عَنِ الحُظُوظِ، وَآسَى لَمَحَلٍّ من آلِ ساسانَ، دَرْسِ

أذَكّرْتَنيهمُ الخُطُوبُ التّوَالي، وَلَقَدْ تُذكِرُ الخُطوبُ وَتُنسِي

وَهُمُ خافضُونَ في ظلّ عَالٍ، مُشرِفٍ يُحسرُ العُيونَ وَيُخسِي

مُغْلَقٌ بَابُهُ عَلى جَبَلِ القَبْـ ـقِ إلى دَارَتَيْ خِلاطٍ وَمَكْسِ

حِلَلٌ لم تكُنْ كأطْلالِ سُعدَى في قِفَارٍ منَ البَسابسِ، مُلْسِ

وَمَسَاعٍ، لَوْلا المُحَابَاةُ منّي، لم تُطقها مَسعاةُ عَنسٍ وَعبسِ

نَقَلَ الدّهرُ عَهْدَهُنّ عَنِ الجِدّ ةِ، حتّى رجعنَ أنضَاءَ لُبْسِ

فكَأنّ الجِرْمَازَ منْ عَدَمِ الأُنْـ ـسِ وإخْلالهِ، بَنيّةُ رَمْسِ

لَوْ تَرَاهُ عَلمْتَ أن اللّيَالي جَعَلَتْ فيهِ مأتَماً، بعد عُرْسِ

وَهْوَ يُنْبيكَ عَنْ عَجائِبِ قَوْمٍ، لا يُشَابُ البَيانُ فيهم بلَبْسِ

وإذا ما رَأيْتَ صُورَةَ أنْطَا كيَةَ ارْتَعْتَ بَينَ رُومٍ وَفُرْسِ

والمَنَايَا مَوَاثِلٌ، وأنُوشَرْ وانَ يُزْجي الصّفوفَ تحتَ الدِّرَفْسِ

في اخضِرَارٍ منَ اللّباسِ على أصْـ ـفَرَ يَختالُ في صَبيغَةِ وَرْسِ

وَعِرَاكُ الرّجَالِ بَينَ يَدَيْهِ، في خُفوتٍ منهمْ وإغماضِ جَرْسِ

منْ مُشيحٍ يُهوي بعاملِ رُمْحٍ، وَمُليحٍ، من السّنانِ، بتُرْسِ

تَصِفُ العَينُ أنّهُمْ جِدُّ أحيَا ءَ لَهُمْ بَينَهُمْ إشارَةُ خُرْسِ

يَغتَلي فيهمُ ارْتِيابيَ، حَتّى تَتقَرّاهُمُ يَدايَ بلَمْسِ

قَد سَقَاني، وَلَمْ يُصَرِّدْ أبو الغَوْ ثِ على العَسكَرَينِ شُرْبَةَ خَلسِ

منْ مُدَامٍ تظنهَا هيَ نَجْمٌ أضوَأَ اللّيْلَ، أوْ مُجَاجةُ شَمسِ

وَتَرَاها، إذا أجَدّتْ سُرُوراً، وَارْتياحاً للشّارِبِ المُتَحَسّي

أُفْرِغَتْ في الزّجاجِ من كلّ قلبٍ، فَهْيَ مَحبُوبَةٌ إلى كلّ نَفْسِ

وَتَوَهّمْتَ أنْ كسرَى أبَرْوِيـ ـزَ مُعَاطيً، والبَلَهْبَذُ أُنْسِي

حُلُمٌ مُطبقٌ على الشّكّ عَيني، أمْ أمَانٍ غيّرْنَ ظَنّي وَحَدْسي؟

وَكَأنّ الإيوَانَ منْ عَجَبِ الصّنْـ ـعَةِ جَوْبٌ في جنبِ أرْعَنَ جِلسِ

يُتَظَنّى منَ الكآبَةِ أنْ يَبْـ ـدُو لعَيْني مُصَبِّحٌ، أوْ مُمَسّي

مُزْعَجاً بالفَراقِ عن أُنْسِ إلْفٍ عَزّ أوْ مُرْهَقاً بتَطليقِ عِرْسِ

عكَسَتْ حَظَّهُ اللّيالي وَباتَ الـ ـمُشتَري فيهِ، وَهو كوْكبُ نَحسِ

فَهْوَ يُبْدي تَجَلّداً، وَعَلَيْهِ كَلكلٌ من كَلاكلِ الدّهرِ مُرْسِي

لمْ يَعِبْهُ أنْ بُزّ منْ بُسُطِ الدّيـ ـباجِ وَاستُلّ من سُتورِ الدِّمَقْسِ

مُشْمَخِرٌّ تَعْلُو لَهُ شَرَفاتٌ، رُفعتْ في رُؤوسِ رَضْوَى وَقُدْسِ

لابسَاتٌ من البَيَاضِ فَمَا تُبْـ ـصِرُ منها إلاّ غَلائلَ بُرْسِ

لَيسَ يُدرَى: أصُنْعُ إنْسٍ لجنٍّ سَكَنوهُ أمْ صُنعُ جنٍّ لإنْسِ

غَيرَ أنّي أرَاهُ يَشْهَدُ أنْ لَمْ يَكُ بَانيهِ في المُلُوكِ بنِكْسِ

فَكَأنّي أرَى المَرَاتبَ والقَوْ مَ، إذا ما بَلَغتُ آخرَ حسّي

وَكَأنّ الوُفُودَ ضاحينَ حَسرَى، من وقُوفٍ خَلفَ الزِّحامِ وَخُنْسِ

وَكأنّ القِيَانَ، وَسْطَ المَقَا صِيرِ، يُرَجّعنَ بينَ حُوٍّ وَلُعسِ

وَكَأَنّ اللّقَاءَ أوّلُ مِنْ أمْـ ـسِ، وَوَشْكَ الفرَاقِ أوّلُ أمْسِ

وَكَأنّ الذي يُرِيدُ اتّبَاعاً طامعٌ فِي لُحوقهمْ صُبحَ خمسِ

عَمَرَتْ للسّرُورِ دَهْراً، فصَارَتْ للتّعَزّي رِبَاعُهُمْ، وَالتّأسّي

فَلَهَا أنْ أُعِينَهَا بدُمُوعٍ، مُوقَفَاتٍ عَلى الصَّبَابَةِ، حُبْسِ

ذاكَ عندي وَلَيستِ الدّارُ دارِي، باقترَابٍ منها، ولا الجنسُ جنسِي

غَيرَ نُعْمَى لأهْلِهَا عنْدَ أهْلِي، غَرَسُوا منْ زَكَائِها خيرَ غَرْسِ

أيّدُو مُلْكَنَا، وَشَدّوا قُوَاهُ بكُماةٍ، تحتَ السّنَوّرِ، حُمسِ

وأعَانُوا عَلى كتَائِبِ أرْيَا طَ بطَعنٍ على النّحورِ، وَدَعْسِ

وأرَانِي، منْ بَعدُ، أكْلَفُ بالأشْـ ـرافِ طُرّاً منْ كلّ سِنْخٍ وَإسّ

أبوالحسن التهامي و رثاء ابنه

حُكم المنية في البريةِ جارِ * ما هذه الدنيا بدار قرارِ
بينا يرى الانسان فيها مخبرا * حتى يرى خبرا من الأخبار
طُبعت على كدر وأنت تريدها * صفوا من الأقذاء والأكدار
ومكلّف الأيام ضد طباعها * متطلّب في الماء جذوة نار
فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سار
فاقضوا مآربكم عجالا إنما * اعماركم سفر من الأسفار
إني وترت بصارم ذي رونق * أعددته لطلابة الأوتار

والنفس إن رضيت بذلك أو أبت * منقادة بازمة المقدار
يا كوكبا ما كان أقصر عمره * وكذاك عمر كواكب الاسحار
إن يحتقر صغرا فرب مفخم * يبدو ضئيل الشخص للنظار
إن الكواكب في علو محلها * لترى صغارا وهي غير صغار
ولد المعزى بعضه فاذا انقضى * بعض الفتى فالكل في الآثار
ابكيه ثم اقول معتذرا له * وفقت حين تركت ألام دار
جاورت اعدائي وجاور ربه * شتان بين جواره وجواري
اشكو بعادك لي وانت بموضع * لولا الردى لسمعت فيه مزاري
والشرق نحو الغرب اقرب شقة * من بعد تلك الخمسة الاشبار
فاذا نطقت فانت اول منطقي * واذا سكت فانت في اضماري
إني لارحم حاسدي لحر ما * ضمنت صدورهم من الاوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم * في جنة وقلوبهم في نار
لا ذنب لي قد رمت كتم فضائلي * فكأنما برقعت وجه نهار

الشعر عندما يلقى ، يضع الملقى الحسن على الشعر جمالا فوق جماله، وابداعا فوق هذا الإبداع، إن الشاعر عندما يلقي قصيدته ينفعل معها، أنه يعيش لحظة أشبه بلحظة مخاض كتابتها، إن القصيدة عندما تلقى تتحول إلى هم كبير على الشاعر..لأنه يعيشها ، يتفاعل معها ويتلاشى في أبياتها ومعانيها والمتلقى يحس بذلك ، فما بالك إذا كان المتلقى هو المعرى..إن الأمر هنا يخضع لمقاييس دقيقة وإلى آراء صائبة.

ورد في كتاب الإنصاف والتحرى لابن العديم .. قال:

"سمعت والدي رحمه الله يقول: بلغني أن أبا العلاء بن سليمان كان يعجبه قصيدة التهامي التي يرثى بها ولده، وأولها:

حكم المنية في البرية جارِ ما هَذه الدنيا بدار قرارِ

قال : فكان لا يرد عليه أحد من أهل العلم إلا ويستنشده إياها، لإعجابه بها، فقدم التهامي معرة النعمان ، ودخل على أبي العلاء ، فاستنشده اياها، فأنشدها فقال له: أنت التهامي؟ فقال : نعم ، وكيف عرفتني؟

فقال : لأنني سمعتها منك ومن غيرك ، فأدركت من حالك أنك تنشدها من قلب قريح ، فعلمت أنك قائلها"[1]

وسأتوقف هنا كثيرا أمام تلك القصيدة التي أعجبت المعرى اعجابا كبيرا ، لدرجة أنه يستنشدها دائما، ويحلو في مسامعه أن تترد، ما هي حيثيات هذا الإعجاب ، ولماذا أطربت المعرى.

ناهيك عن حس المعرى الناقد الذي يعرف كيف يميز صاحب القصيدة عن غيره على الرغم من كثرة ملقيها ، لكن هناك رابطا دقيقا بين الشاعر وقصيدته، إنه كما ذكرت آنفا ينصهر حيال الفاظها ومعانيها، يعيد قراءتها ويتمثل معالمها وأحداثها، وطقوس كتابتها، فتنتابه تلك الارهاصات التي انبأت عن كاتبها، ولا شك أن المعرى – وهو الضرير– عندما يسمع قائلها يعرف تمام المعرفة – بحسه النقدي – أن من يقرأ تلك القصيدة هو صاحبها ، وأن القصيدة قد جاءت مخالفة للقصيدة نفسها التي سمعها مرات لا تحصى من قبل من غير شاعرها.

---

[1] ابن العديم: 588 – 660 كتاب الأنصاف والتحرى في دفع الظلم والتجرى، عن أبي العلاء المعرى ضمن تعريف القدماء ص 564، ابن فضل الله العمري: (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيَي بن فضل الله بن مجلى القرشي العمرى الشافعي القاضي، المعروف بأبن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ، ضمن تعريف القدماء ص 251.

وبداية فالتهامي هو على بن محمد بن نهد التهامي، أبو الحسن[1] الذي يقول عنه الباخرزي[2] :في دمية القصر وعصرة أهل العصر أنه: هو مَن توج هام تهامة بالانتساب إليها، وطرز كُم الصناعة بالاشتمال عليها ، فإن مكانه لم يزل بالشام ، حتى انتقل من جوار بنيها الكرام إلى جوار الله ذي الجلال والإكرام[3]، وله شعر أدق وأرق من دمع العاشق، كانما روح بالشمال، أو علل بالشمول ، فجاء كنيل البغية، ودرك المامول، وحدثني أبو جعفر محرر بن أسحق البحاثي، قال : حدثني أبو كامل تميم بن مفرح الطائي، أن التهامي هذا كان في ابتداء أمره من السوقة ...

ثم انقطع إلى بني الجراح يمتدحهم، ويستضئ بهم ويقتدحهم ، وكان له همة في معالي الأمور، تسول له رياسة الجمهور ، فقصد مصر ، واستولى على أموالها، وملك أزمة أعمالها وعمالها، ثم أنه غدر به بعض أصحابه ، صار ذلك سببا للظفر به ، وأودع السجن في موضع يعرف بالمنسي [3] حتى مضى لسبيله، رحمة الله عليه.[4]

---

(1) أبو الحسن التهامي (00-416هـ=00=1025م) على بن محمد بن نهد التهامي، أبو الحسن ، شاعر مشهور من أهل تهامة (بين الحجاز واليمن) زار الشام والعراق وولي خطابه الرملة ، ثم رحل إلى مصر متخفيا، ومعه كتب من حسان بن عفرج الطائي أيام استقلاله ببادية فلسطين إلى بني قرة (قبيل عصيانهم بمصر) فعلمت به حكومة مصر، فاعتقل ، وحبس في خزانة البنود بالقهرة ثم قتل سرا في سجنه، وهو صاحب القصيدة التي مطلعها:

حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار

وله ديوان شعر مطبوع" الزركلي: الإعلام جـ 5، ص145-146 وأورد من قبل ابن خلكان أنه " وله مرتبة في ولده ، وكان قد مات صغيرا وهي في غاية الحسن، ولم يمنعنى من الاتيان بها إلا أن الناس يقولون أنها محدودة ، فتركتها ، لكن من جملتها بيتان في الحسان ومعناهما غريب فاثبتهما:

إني لأرحم حاسدي لحر ما ضمت صدورهم من الأوغار

نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنة ، وقلوبهم في نار

ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ 3، ص379.

أنظر: سير النبلاء في الطبقة 42، النجوم الزاهرة، 4 : 263 تتمه اليتيمة ص 37.

تاريخ ابن الوردي جـ 1 ص 337 ، مرآة الجنان جـ 3، ص30.

مسالك الأبصار للعمري ص 251 ، معجم البلدان 2/518 – 519.

(2) الباخرزي: (أبو الحسن على بن الحسن بن على الباخرزي 467=1075م).

(3) هذا الكلام يوحي بأنه مات في الشام ، وهذا على غير المعروف إذا أنه مات في مصر كما ورد في معظم المصادر بل كما سيذكر الباخرزي ذاته بعد قليل:

(2) الذي في معجم البلدان ، والنجوم الزاهرة، أنه حبس في دار البنود، وهي دار السلاح بمصر ، وأنشد له ياقوت شعرا قاله في الحبس، يقول فيه:

مستوطنا دار البنود وقلبه للرعب يخفق مثل خفق بنودها

(4) الباخرزي (البو الحسن على بن الحسن بن على الباخرزي = 467هـ = 1075 م) دمية القصر وعصرة أهل العصر جـ1، ص110، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط. دار الفكر العربي بالقاهرة 1388 = 1968م.

ثم أورد الباخرزي مجموعة من أشعاره بعد تقديمها بقوله: فمن محاسنه التي تعلق في كعبة الفصاحة قوله.. الخ.

وأحيانا يقدمها بقوله : ومن بدائعه في هذه الرائية قوله.. ثم يعقب على الأبيات بقوله: " هذا والله هو المعنى البديع، والربيع :

حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يرى الإنسان فيها مخبرا حتى يرى خبرا من الأخبار
طبعت على كدر وأنت تريدها صفوا من الأقذاء والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما تبنى الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال ساري
والنفس إن رضيت بذلك أو أبت منقادة بأزمة الأقدار
فاقصوا مآربكم عجالا إنما أعماركم سفر من الأسفار
وتراكضوا خيل الشباب وبادروا أن تسترد فإنهن عواري
فالدهر يشرق إن سقى ويغص إن هنا ويهدم ما بنى ببوار
ليس الزمان وإن حرصت مسالما خلق الزمان عداوة الأحرار
إني وترت بصارم ذي رونق أعددته لطلابه الأوتار
أثنى عليه باثره ولو انه لم يغتبط اثنيت بالاثار
ياكوكبا ما كان أقصر عمره وكذاك عمر كواكب الاسحار
وهلال أيام مضى لم يستدر بدرا ولم يمهل لوقت سرار[1] [2]

وقد بلغت القصيدة كما أوردها الباخرزي ستة وثمانين بيتا، وهنا نتساءل عن سر اعجاب المعرى بحسه النقدي –بتلك القصيدة، وعلام عدها من الشعر الذي ينبغي أن يسمع، ولماذا عرف شاعرها حين أنشدها دون أن يخبر بكنهه من قبل؟

---

[1] الباخرزي: (أبو الحسن على بن على = الباخرزي = 467هـ = 1075م): دمية القصر وعصره أهل العصر جـ 1، ص 115–122 تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ط. دار الفكر العربي بالقاهرة، 388هـ=1968م.

[2] السرار : أخر ليلة من الشهر.

وإنني أرى أن هناك تشابها كبيرا بين اشعار المعرى وبين أشعار التهامي هذا التشابه قائم على شيئين نستطيع أن نحددهما بالآتي:-

أولا: صدق الأحاسيس: فالتهامي هنا –كما رأينا في القصيدة –شاعر قد أكل الحزن كبده لفقد ابنه الذي راى أنه مقدمة لهلاكه هو وأن الحياة بعده هي صفحات من الحزن والشكوى، وإن الأيام لاتنسيه هذا الزرء ، وإنما تجدد هـ هذه الذكريات، نحن هنا أمام شاعر صادق في أحاسيسه، هذا الشاعر أمام ناقد يصدق في أحساسيه إلى أبعد غاية، ومن هنا التقت القصيدة بمعزل عن شاعرها بحس الناقد المعرى فاستنشدها، ثم حين سمعها من قائلها تحولت الكلمات التي كانت تتلى على مسمعيه من قبل زواره إلى كتل من الجمر وحروف من التأوه، غدت القصيدة لصدق كتابتها، وصدق مشاعر مؤلفها إلى سحابة حزن، يعيد الشاعر قراءتها فيكتشف قصيدته لأول وهلة، وكأن الحزن البارحة من هنا تجدد الذكريات، يتعامل الشاعر مع قصيدته– حين يلقيها معاملة جديدة، إنه يستكشف كنهها في تلك اللحظة التي تختلف عن لحظة ميلاد القصيدة، ففي لحظة كتابة القصيدة يكون الشاعر في ساعات الإلهام الشعري، أما هو في لحظة الإلقاء فالأمر مختلف إنه في قمة وعيه، وهو يتعامل مع ألفاظ وحروف لم تكتب بطريقة الكتابة الآلية، وإنما كتبت على وتر الإحساس والدموع، هنا يكتشف الشاعر في أثناء الالقاء تلك الروح الجياشة التي تغلف المعنى، يرى الشاعر ابنه وهو يحتضر ، يستحضر تلك الصور المتلاشية ، وتلك المعاني المغلفة فينفجر في إلقاء قصيدته أمام المعرى الذي لديه الحزن نفسه وإن اختلفت بواعثه، لديه بواكير الحزن الأبدي والنظرة التشاؤمية تجاه الأحياء ، هنا يلتقيان والمعرى الضرير غير محتاج إلى من يعرفه بأبي الحسن التهامي ويقدمه له بعد إنشاده قصيدته، ولكن المعرى بحسه النقدي يوقن أن هذا الصوت المحمل بما لم يحمله صوت من قبل هو صوت الشاعر لاصوت المتلقي، هنا يدرك أنه يسمع أبا الحسن التهامي – ويبصر –وهو الضرير– ابنه الميت!

ثانيا: النظرة التشاؤمية:

لعل أبا الحسن التهامي في قصيدته تلك قد لمس وترا ناعيا لدى المعرى ، وأعنى به الحزن، هذا الحزن الذي جعله يرى الدنيا بلا أصدقاء ، يرى الدنيا بلا معنى، يرى الحزن معادلا للفرح وأن السعادة هي لمحة خاطفة ينبغي عليك وأنت تحيا السعادة أن تنفض يدك عنها انتظارا للمصائب واليأس!

ها هو ذا أبو الحسن التهامي يقول:

جاورت أعدائي وجاور ربه شتان بين جواره وجواري

إن هذا العصر عصر الشكوى، الجميع يشكو الجميع.. كل الناس أعداء في رأيه ، لا فرق بين هذا وذاك..

ذهب التكرم والوفاء من الورى وتصرما إلا من الأشعار

وفشت خيانات التقات وغيرهم حتى اتهمنا رؤية الأبصار

إنه الصوت ذاته الذي قاله المعرى في سقط الزند:

فظن يسار الاخوان شرا ولا تأمن على سر فؤاداً

فلو خبرتهم الجوزاء خبري لما طلعت مخافة أن تصادا[1]

أي أن هناك تأثيرا وتأثرا من أبي الحسن التهامي بالمعرى الشاعر ولذلك جاءت قصيدته على معاني المعرى وطريقته، ومن هنا وجد فيها المعرى الناقد امتدادا لمدرسته وامتدادا لرؤيته ومعانيه.

إضافة إلى ذلك ينبغي ألا نهمل تلك النظرة التي كانت تصاحب المعرى وهي نظرة التحسر على الشباب الذى أدرك المعرى أنه ولى بلا رجعة وإنه إذا لم يكن مجبرا على ذلك أعنى على عدم الزواج وعلى عدم الإنجاب إلا أن لديه شعورا لا نستطيع أن نتغافله نحو الشوق للأبناء وكأنه قد رأي في ابن أبي الحسن التهامي مرثاه لابنه الذي مات من قبل أن يولد ، فاستنشد القصيدة مرددا إنه التحسر على ما مضى والشوق الكامن للابن الذي ود ألا يخلفه حتى لا يجني عليه كما جنى آباؤه عليه:

إننا هنا أمام معاملات متشابكة توشك أن تتلاقي في عدة نقاط لتفترق في عدة نقاط أخرى بين ما أراد التهامي في حياته وما أراد المعرى لها.

ولعل ما يؤكد هذا التأثير والتأثر ما رواه الصفدي في كتابه الغيث المسجم إذ قال:

وله أيضا يعني التهامي

يخفي الزمان فضائلي فكأنني وكأنما في قلبه إضمار

لم أخف إلا للعلو وإنما تحظى السما لعلوه الأبصار

وهو مأخوذ من قول أبي العلاء المعرى:

والنجم إذ تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر[1]

ولعل واضحا أن هذا المعنى قد نقله التهامي في قصيدته التي بين أيدينا في قوله:

إن الكواكب في علو محلها لترى صغارا، وهي غير صغار

---

[1] المعرى: سقط الزند جـ2.

[1] الصفدي: صلاح الدين أبو الصفا خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي الشافعي 696 – 764هـ) : الغيث المسجم (تعريف القدماء ص 407.

أي إن التهامي كما هو واضح متأثر بمعاني المعرى وطريقته الشعرية ولم ينكر عليه المعرى هذا التاثير والتأثر وإنما شجعه على ذلك.

ثم نتوقف أمام سؤال إضافة إلى هذا التشابه ، هل هناك ما يستدعى هذا الإطراء من المعرى على القصيدة ، وأرى أن هناك أشياء كثيرة حسبي أن أتوقف أمام عدة أشياء منها وهي:

أولاً: التجديد في المعاني:

لأبي الحسن التهامي في تلك القصيدة عدة أبيات استطيع أن أجازف وأقول إن المعرى قد أعجب بها وربما –أضافة إلى ما سبق –كانت هي من دوافع وحيثيات حكمه للقصيدة وهذا افتراض ، فلو نظرنا إلى قول التهامي:

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار

أو قوله:

إن يحتقر صغرا فرب مغخم يبدو ضئيل الشخص للنظار

إن الكواكب في علو محلها لترى صغارا، وهي غير صغار

ولد المعزى بعضه فإذا مضى بعض الفتى، فالكل في الآثار

او قوله:

وتلهب الأحشاء شيب مغرقي هذا الضياء شعاع تلك النار

إن المعاني هنا، وإن كانت سهلة واضحة إلا أنها معان تكاد أن تكون مبتكرة ويوشك أن يكون التهامي هو أول من قالها، والمعاني هنا ليست خلوا من العاطفة ، بل هي العاطفة ذاتها ، ولعل نظرة في قوله:

إني لأرحم حاسدي لحر ما ضمت صدورهم من الأوغار

نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنة، وقلوبهم في نار

فالتهامي قد أجاد اجادة واضحة في هذين البيتين، فتوشك أن تكون رحمة الحاسدين شيئا ذا نظرة جديدة من قبل الشاعر، إذ إن العادة جرت على ذم الحاسدين وكراهتهم لكن التهامي يرحمهم لما في صدورهم من حنق وبغض ، ثم يأتي بتلك المفارقة العجيبة، إذ إن عيونهم في جنة لما يرون من نعيم يصاحبه ، ولكن هذه الجنة لا تصل إلى قلوبهم وإنما تتحول إلى نار تغلى في صدورهم ويتأجج لهيبها في قلوبهم ولا يملك الشاعر أمام هذه الصورة إلا أن يترحم لهما!

ولعل هذه الصورة تذكرنا بتعقيب أبي شعيب القلال للجاحظ على أبيات أبي نواس في وصف الكأس وما عليها من تصاوير بديعة أدهشته.

إذ تحدث يموت بن المزرع قال: سمعت خالي الجاحظ يقول: لا أعرف شعراً يفضل قول ابي نواس: ودار ندامي عطلوها وأدلجوا[1]

ولقد أنشدتها أبا شعيب القلال فقال: وإليه يا أبا عثمان إن هذا هو الشعر ، ولو نقر لطن"[2]

نعم إن شعر أبي الحسن التهامي شعر لو نقرت عليه لطن، صوت إحساس صادق فالكلمات منتقاه من بؤرة الحزن والحزن والمعاني مأخوذة من بوتقة الثكل إنه الشعر الذي يدخل إلى القلب دونما استئذان.

ولعل في أشعاره ما يؤهله لتلك المكانة التي حدت بأبي العلاء أن يستنشد شعره صباح مساء.

ثانيا: جمال التصوير

ربما كان من الأشياء التي جعلت المعرى يفضل تلك القصيدة اعجابا بما فيها من لمحات بلاغية جميلة، ولعل المعرى لو ذكر حيثيات تفضيله لها لوضح ذلك جليا، أما ولم يتضح فما علينا إلا أن نتتبع تلك القصيدة حتى نوضح ما الذي جعله يقول هذا الرأي.

والقصيدة –كما مر بنا –مليئة بالكنايات والاستعارات والتشبيهات إضافة إلى المحسنات البديعية.

وإذا كنا نعرف كلف المعرى بالمحسنات البديعية واستخدامها في شعره ونثره فإننا نبدأ بالمحسنات البديعية حتى تكون رافدا لها يوضح آراءه البلاغية.

فقوله : طبعت على كدر وأنت تريدها صفوا من الأقذار والأكدار

---

(1) يعني أبيات أبي نواس:

ودار ندامي عطلوها وأدلجوا بها أثر منهم جديد ودارس

مساحب من جر الزقاق على الثرى واضغاث ريحان جنى ويابس

حبست بها صحبي فجددت عهدهم وأني على أمثال تلك لحابس

ولم أدر من هم غير ما شهدت به بشرقي ساباط الديار البابس

اقمنا بها يوما، ويوما، وثالثا ويوما له يوم الترحل خامس

تدور علينا الراح في عسجدية حبتها بألوان التصاوير فارس

قراراتها كسري، وفي جنباتها مها تدريه يا نفس الفوارس

فللخمر ما زرت عليه جيوبهم وللماء ما حازت عليه القلانس

(2) أبو نواس: الحسن بن هاني الحكمي: ديوان أبي نواس جـ3 ، ص 184–185 تحقيق المستشرق البروفيسور ايفالد فاغنر ، ط. دار النشر=

Franc Steiner Wiesbaden Gmbh-Stuttgart, 1988.

والطباق واضح في كدر وصفو

أو قوله: العيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال ساري

والطباق واضح وكذلك المقابلة ما بين العيش والموت، والنوم واليقظة ويتضح حسن التقسيم عنده في قوله:

فالدهر يشرق إن سقى ويغص إن هنا ، ويهدم ما بنا ببوار

فالتهامي يلجأ إلى مراعاة التقسيم بين الدهر إن أراد أن يسقى فليست السقيا إلا شرقة يصحبها الموت أي أن ماءه منذر بالموت وقديما قال الشاعر:

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء

لكن ماء الدهر وخيره ونعيمه هو الموت ، وإذا هنا أحدا فليس هذا الهناء سوى الغصة التي لا دواء لها، وأما إذا ما بنى الدهر لأحد مكانه أو شيئا ماديا فإن هذا البناء سرعان ما يقوضه الدهر ذاته وكأن شيئا لم يكن:

كذلك يتضح الجناس في قوله:

قصرت جفوني أم تباعد بينها أم مقلتي خلقت بلا أشفار

جفت الكرى حتى كأن غراره عند اغتماض العين حد غرار

فالتهامي يقصد أن جفونه لم تطاوعه حتى يغلق بهما عينيه المحملقتين في ذهول باحثا عن هذا الصبي الميت، ولذا فقد ترتب على ذلك جفاء النوم لعينيه وهو يتساءل في دهشة عما حدث أم أن عيوني لم يخلق لها اشفار بدءا؟

ثم يأتي الجناس في الغرار والغرار وهو جناس كامل فإنه يقصد بالغرار (الأولى): القليل من النوم ، والغرار (الثانية): حد السيف ولا يخفى علينا ما يقصده التهامي فإن عيونه جفت الكرى حتى إن الغفوة القصيرة تحولت إلى عذاب فهي أشبه بحد السيف لحظة اغتماض العين بالأجفان ، وارى أن الجناس هنا لم يكن متكلفا مقصودا، وإنما أتى طائعا حيث لا تكلف فيه ولا اكراه ولذا فقد جاءت الصورة طبيعية ، تنبئ عما يقاسيه هذا الشاعر وعما يحس به ولا أستطيع أن أحصى ما بالقصيدة من محسنات بديعية، وحسبي أن آتي بشواهد على ما أرى كي تساعدنا على كشف حيثيات حكم المعرى واستجادته القصيدة، في محاولة لتبين ما يقصده ومن ثم معرفة خاصيات نقده وأساس حكمه .

فمن الكنايات التي توجد في القصيدة قوله:

وفشت خيانات الثقات وغيرهم حتى اتهمنا رؤية الأبصار

وما فيها من كناية عن فساد هذا العصر، وتردى رجالاته، حتى إن الشاعر يشك في بصره ، فربما كانت العيون لا ترى صوابا، وكأنه لا يصدق ما تراه عيناه:

وقد أكثر الشاعر من التشبيهات على عادة الشعراء العرب في العصور التي سبقته، وربما كان الأمر يتطلب التشبيهات، وقد ولع الشعراء العرب بالتشبيهات وإن كانت بداهة ليست بخاصة بالشعراء العرب ولكن أعنى أن الشعر العربي نلمح فيه التشيهات أكثر عددا ، وأشد وضوحاً.

ومن ذلك قوله:

ومكلف الايام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار

والتشبيه هنا تشيه بليغ حذفت أداة الشبه ، وصار الإنسان الذي يود من الأيام الخير والسعادة وهي أشياء ضد طباعها مثل الإنسان الذي يبحث عن جذوة نار وسط الماء، إن هذا إنسان لا عقل له، كذلك الأيام من يبحث فيها عن سعادة فهو إنسان لا عقل له أيضا.

أو قوله عن ابنه الذي شبهه بالكوكب مرة وبالهلال أخرى..

واستل من أترابه ولداته كالمقلة استلت من الأشفار

إن لحظة الاستلال بما فيها من سرقة وخفة وغفلة لهى أشبه بالمقلة التي تستلب من الأشفار وإذا ذهبت المقلة أظلمت العين وإذا ذهب الابن فقد مات الأب

أو قوله:

أخفى من الرقباء نارا مثلما يخفى من النار الزناد الواري

إن النار طي الزناد ولا ترى.. كذلك كان صدره مليئا بالنار ولكن يحاول اخفاءها عن أعين الرقباء.

وعندما تأتي إلى قوله :

ولصبح قد عم النجوم كأنه سيل طما فطفا على النوار

نحس ببراعة الشاعر في تشبيهاته التي أتى بها، فالصبح قد غطى النجوم فلم يعدلها من أثر وهذا شبيه بالسيل الذي يأتي فيغمر النوار فلا ترى على الأرض منها شيئا.

أو قوله :

وترى سيوف الدارعين كأنها فلج تمد بها ألف بحار

أو قوله :

يتزين النادي بحسن وجوههم كتزين الهالات بالأقمار

وقوله :

لا ذنب لي قد رمت كتم فضائلي فكأنما برقعت وجه نهار

إن التشبيه هنا يعطي صورة بلاغية تكاد تلمحها العين وتحسها أمام ناظريك إنه يحاول أن يكتم فضائله ولكن هيهات أن فضائله تظهر مهما حاول مداراتها وهو في تلك المحاولة يشبه ذلك الذي ودلو يستطيع حجب النهار عن العيون فراح يبرقع وجه النهار وهي محاولة محكوم عليها –مسبقا –بالفشل ، مع استحالتها، كتلك إن فضله واضح للعيان لا يخفي

ونلاحظ أن تشبيهاته قد رسمت عزة قومه، وشجاعتهم، ومدى ما يجب أن يقدموا من أجله ، وهو في ذلك يفاخر مفاخرة ربما كان يعزي بها نفسه لأنه يعرف أن ابنه أقرب إلى نفسه من كل هؤلاء ،ولكن ليحاول فربما يتناسى المهم ، حتى عندما نراه يفتخر بنفسه فلمح الرمق الأخير الذي يحاول الشاعر أن يعزي به نفسه وأن يفتخر بها وهو أعلم أنها لا تجدي شيئا ، إنه يفتخر بأهله وقومه وهو –كما يتضح من سيرته –يعرف أنهم لن يحركوا ساكنا بدليل مقتله بمصر ولم نسمع عن هؤلاء الفتيه المدرعين الذين :

لو أشرعوا إيمانهم من طولها طعنوا بها عوض القنا الخطار[1]

لم نسمع خبرا عن الذين هم:

سوس إذا عدموا الوغي انتجعوا لها في كل أوب نجعة الأمطار

إن الشاعر يعرف ذلك، ولم يكذب في نفس اللحظة ، لكن هو التعلق بعشه من الحاضر بعد فقد المأمول.

لعل هذا ما جعل المعرى يعزي بها نفسه أيضا، فالأمر واحد.. وإن اختلف في تفصيلاته..

وإذا نظرنا إلى الاستعارات الموجودة في القصيدة نلمح فيها حنكة الشاعر في تكوين تلك الاستعارات وعلى سبيل المثال لا الحصر قوله:

قصرت جفوني أم تباعد بينها أم مقلتي خلقت بلا أشفار

جفت الكرى حتى كأن غراره عند اغتماض العين صد غرار

أحيى ليالي التم وهي تميتني ويميتهن تبلج الأنوار

حتى رأيت الفجر يرفع كفه بالضوء رفرف خيمة كالقار

والصبح قد غمر النجوم كأنه سيل طما فطفا على النوار

إن الاستعارات في تلك الأبيات : جفت العيون الكرى، الليالي تميتني يمتيهن تبلج الأنوار، الفجر يرفع كفه بالضوء، الصبح قد غمر النجوم" وهي استعارات نرى فيها حذق الشاعر وتمكنه من أدواته.

---

[1] الخطار : الرمح المهتز.

كذلك قوله:

وتلهب الأحشاء شيب مفرقي هذا الضياء شعاع تلك النار

إن الصورة هنا تكاد تكون صورة مركبة برغم إنها تبدو صورة واحدة إن الأحشاء تضطرم سعيرا من الحزن ، هذا السعير المضطرم يغوص كثيراً في ذات الشاعر ، في أحساسه ، في ذاكرته حتى يشيب مفرقه من جراء تلك النيران، وهذا الضياء ربما كان يقصد الشاعر به الشيب أو يقصد الضياء بمعناه المعروف هو شعاع تلك النار فما بالك بالنار ذاتها.

وفي مجال الفخر تأتي الاستعارة موحية في قوله عن فضائله:

وسترتها بتواضعي فتطلعت اعناقها تعلو على الاستار

إن الشاعر هنا يحاول أن يستر الفضائل بالتواضع ، ولكنها تغدو كالنياق الفتية التي تابي ألا ترفع أعناقها وتعلو على الحجب والاستار.

ويلاحظ أن الشاعر متمكن من لغته ومن أدواته البلاغية ، بيد أن هذا لا يمنع من وجود بيت لا أدرى هل الخطأ فيه من الشاعر أم من الناقل؟ وأعني به:

والشبه منجذب فلم بيض الدمى عن بيض مفرقه ذوات نفار

ولا أدرى ما الذي يقصده بقوله: فلم يقصد فلم؟ أي فلماذا؟ ولكن اضطره العروض إلى هذا التسكين، أم إنه يقصد شيئا آخر؟ وبقى هنا شئ كان أحرى به أن يقال سبقا بيد اني أخرته حتى نستشف معاني القصيدة وأعنى به زمنية إنشاد تلك القصيدة، ولعل فيما أورده محمد بن على العظيمي الحلبي ما يوضح لنا ما أغفله معظم الرواة إن لم يكن أكثرهم، إذ يورد إنه في " سنة ثلاث وأربعمائة ورد الشريف أبو الحسن على بن محمد بن التهامي الشاعر الشام، واجتمع بأبي العلاء بالمعرة"[1]

وأهمية هذا التاريخ تؤكد إن ذلك الحوار قد تم في أوائل سنوات اعتزال المعرى وهذا يؤكد ما اذهب إليه من شهرة المعرى الناقد وإنها أضحت موازية لشهرته في الشعر والتآليف النثرية العديدة.

هذا بالإضافة إلى أن هذا التاريخ لهذا اللقاء النقدي يعطينا لمحة على سعى الشعراء نحو المعرى يستفتونه في أشعارهم ، وينشدونه أشعارهم حتى يقومها وربما أضفى على الشاعر جملة أو شبه جملة تجعله يتيه على اقرانه بها، فهي من شاعر وناقد كبير.

(4) شيوع الحكمة في القصيدة:

[1] محمد بن على العظيمي الحلبي (482-556هـ=1090-1961م): تاريخ حلب ص321 تحقيق إبراهيم زعرور ، دمشق 1984م.

إن نظرة في القصيدة تعطي انطباعا بأن الشاعر قد نظر إلى الحياة واختبر ضروبها ، وسبر اغوارها ، لذا فهو يقدم لنا خلاصة تجارية، وبعد رؤيته للحياة، ولعل الحزن ادعى إلى التفكير والتدبر من الفرح الحزين ساهم ساهم شارد بين أفكاره يرى الذكريات أمامه تترى وتتلاحق الصور في رؤية أمام عينيه، يبصرها فتتشكل من جديد، كأنها تختصر الزمن، أو في أحايين أخرى تتجاوز الزمن كي تشكل زمنها المفقود.

والشاعر هنا ربما وجد أن فقد ابنه مدعاة لكي يعيد التفكر من جديد تجاه الحياة ولعل هذا صادف هوى في نفس المعرى، فراح يردد القصيدة بحسه النقدي الذي يأخذ من الشاعر ما يعبر عنه وعن إحساسه ومشاعره.

ولعل القصيدة من أولها تلخص حكمة ابدية:

حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار

وتكاد تكون الأبيات الثلاثة التالية كلها حكما متتالية حتى نأتي إلى البيت الرابع والخامس وضحت الحكمة:

وإذا رجوت المستحيل فإنما تبني الرجاء على شفيرها

فالعيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال ساري

أو قوله :

ليس الزمان وإن حرصت سالما خلق الزمان عداوة الأحرار

أو قوله:

ثوب الرياء يشفعما تحته فإذا التحفت به فإنك عار

فهو حكمة تصلح في كل زمان ومكان فالعرائي مهما حاول أن يستتر بلا قعنه، فإن تلك الأقنعة سرعان ما تتهاوى حتى تشف الحقيقة ظاهرة جلية ، لا تقوى الأقنعة والمداراة بالأقنعة تداريها إلى حين.

وكذلك قوله:

والليث إن ثاورته لم يعتمد الأعلى إلا على الأنياب والأظفار[1]

وقله أيضاً:

والهون في ظل الهويني كامن وجلالة الأخطار في الأخطار[2]

وعندما يتذكر الشباب الذي ولى يعود إلى نفسه في ثورة عارمة صارخا:

---

[1] ثاورته: أي واتبته.

[2] الهون: ضد العز.

شيئا به ينقشعان أول وهلة ظل الشباب وحلة الأشرار

لاجندا الشيب الوفر وحبذا شرخ الشباب الخائين الغدار

وطرى من الدنيا الشباب وروقه فإذا انقضى، فقد انقضت أوطارى[3]

وعندما يرى ما خلفه من الدنيا ، وكيف كانت فلسفته تجاه الأموال يقول:

تزدادهما كلما أزددنا غنى والفقر كل الفقر في الإكثار

ما زاد فوق الزاد خلف ضائعا في حادث أو وارث أو عار

وكما ابتدأ قصيدته بحكمة ينهيها بحكمة أيضا:

ولربما اعتضد الحليم بجاهل لا خير في يمنى بغير يسار

ومن هنا فربما كان المعرى معجبا بشيوع تلك الحكم في القصيدة، وكما مر بنا آنفا توقف المعرى تجاه الحكم في الشعر العربي ،ومن الشاعر التهامي أتت الحكمة معبرة عنه، وعن الإنسان في تلك الحياة.

ربما كانت كل هذه الأشياء جميعها هي التي قربت القصيدة إلى حاسة المعرى النقدية، وهي التي جعلته ينشدها، ويستنشدها زواره ، وهي التي جعلته يدرك أنه أمام الشاعر الحقيقي عندما ينشدها بنفسه أمام المعرى الناقد من قلب حزين، وروح مكلومة، ونفس ثكلى، وكهل هرم!!

---

[3] روق الشباب: أوله.

أبو العتاهية :

أبو العتاهية هو إسماعيل بن القاسم بي سويد العيني، ولد ونشأ قرب الكوفة، وسكن بغداد، اتصل بالخلفاء ـ خاصة الرشيد ـ؛ وعلت مكانته، لكنه زهد في الدنيا، وابتعد عن منادمة الرشيد، وكان قبل ذلك لا يفارقه. وكتب شعراً رقيقاً في ندمه على ما فرط من أمره قال فيه :

إلـهـي لا تعذبني فإنـي

مقـر بالـذي قد كان مـني

فـما لـي حيـلـة إلاّ رجائي

لعفوك إن عفوت وحسن ظني

وكم من زلة لي في الخطايا

وأنت عليّ ذو فضل ومَـنّ

إذا فـكّرت في ندمي عليها

عضضت أنـاملي وقرعت سني

يظن النـاس بي خيرا وإنّـي

لشرّ النّاس إن لم تعف عنّـي

أبونواس

حامِلُ الهَوى تَعِبُ
يَستَخِفُّهُ الطَرَبُ
إِن بَكى يُحَقُّ لَهُ
لَيسَ ما بِهِ لَعِبُ
تَضحَكينَ لاهِيَةً
وَالمُحِبُّ يَنتَحِبُ
تَعجَبينَ مِن سَقَمي
صِحَّتي هِيَ العَجَبُ
كُلَّما اِنقَضى سَبَبٌ
مِنكِ عادَ لي سَبَبُ

ابن الفارض:

شَرِبْنَا على ذكْرِ الحبيبِ مُدامَةً
سكِرْنَا بها من قبل أن يُخلق الكَرْمُ

لـها البدرُ كأسٌ وهيَ شمسٌ يُدِيرُهَا هلالٌ وكم يبدو إذا مُزِجَتْ نَجم
ولولا شذَاها ما اهتدَيتُ لِحانِها ولولا سَناها ما تصَوّرها الوَهْمُ
ولم يُبْقِ منها الدّهْرُ غيرَ حُشاشَةٍ كأنّ خَفاها في صُدور النُّهى كتْم
فإن ذُكرَتْ في الحَيّ أصبحَ أهلُهُ نَشاوى ولا عارٌ عليهمْ ولا إثْم
ومِنْ بينِ أحشاء الدّنانِ تصاعدتْ ولم يَبْقَ منها في الحقيقة إلاّ اسمُ
وإن خَطَرَتْ يوماً على خاطرِ امرئٍ أقامتْ بـه الأفراحُ وارتحلَ الهمّ
ولو نَظَرَ النُّدْمَانُ خَتمَ إنائِها لأسكَرَهُمْ من دونِها ذلكَ الختم
ولو نَضحوا منها ثرَى قبرِ مَيّتٍ لعادتْ اليه الرّوحُ وانتَعَشَ الجسم
ولو طَرَحُوا في فَيءِ حائطِ كَرْمِها عليلاً وقد أشفى لفَارَقَهُ السّقم
ولو قَرّبُوا من حانِها مُقْعَداً مشَى وتنطِقُ من ذِكْرَى مذاقتِها البُكْم
ولو عَبِقَتْ في الشرق أنفاسُ طِيبِها وفي الغربِ مزكومٌ لعادَ لهُ الشَّمُّ
ولو خُضِبت من كأسِها كفُّ لامسٍ لمَا ضَلّ في لَيْلٍ وفي يَدِهِ النجم
ولو جُليتْ سِرّاً على أَكمَهٍ غَدا بَصيراً ومن راووقِها تَسْمَعُ الصّم
ولو أنّ رَكْباً يَمّموا تُرْبَ أرْضِهَا وفي الرّكبِ ملسوعٌ لمَا ضرّهُ السّمّ
ولو رَسَمَ الرّاقي حُرُوفَ اسمِها على جَبينِ مُصابٍ جُنّ أبْرَأهُ الرسم
وفوْقَ لِواء الجيشِ لو رُقِمَ اسمُها لأسكَرَ مَنْ تحتَ اللّوا ذلك الرّقْم
تُهَذّبُ أخلاقَ النّدامى فيَهْتَدي بها لطريقِ العزمِ مَن لا لهُ عَزْم
ويكرُمُ مَن لم يَعْرِف الجودَ كَفُّه ويحلُمُ عند الغيظ مَن لا لهُ حِلم
ولو نالَ فَدْمُ القومِ لَثْمَ فِدَامِها لأكْسبَهُ مَعنى شمائِلها اللّثْم
يقولونَ لي صِفْهَا فأنتَ بوَصفها خبيرٌ أَجَلْ عِندي بأوصافها عِلم
صفاءٌ ولا ماءٌ ولُطْفٌ ولا هَواً ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جِسْمٌ

تَقَدّمَ كُـلَّ الكائناتِ حديثُها قديماً ولا شكلٌ هناك ولا رَسم
وقامت بـها الأشياءُ ثَـمّ لحكمَةٍ بـها احتَجَبَتْ عن كلّ من لا له فَهْمُ
وهامتْ بها روحي بحيثُ تمازَجا اتّ تِحاداً ولا جِرْمٌ تَـخَلّلَه جِرْم
فَخَمْر ولا كرْم وآدَمُ لـي أب وكَرْم ولا خَمْر ولـي أُمُّـها أُمّ
ولُطْفُ الأوانـي في الحقيقة تابع لِلُطْفِ المعاني والمَعاني بها تَنْمُو
وقد وَقَـعَ التفريقُ والكُلّ واحد فأرواحُنا خَـمْرٌ وأشباحُنا كَرْم
ولا قبلَها قبل ولا بَـعْدَ بَـعْدَهَا وقَبْليَّة الأبْعادِ فـهْي لـها حَتْم
وعَصْرُ المَدى من قَبله كان عصرَها وعهْدُ أبينا بَـعدَها ولـها اليُتم
محاسِنُ تَـهدي المادِحينَ لوَصْفِهَا فَيَحْسُنُ فيها منهُمُ النّثرُ والنّظم
ويَطْرَبُ مَن لم يَدْرِهَا عند ذِكْرِهَا كَمُشْتَاقِ نُـعْمٍ كلّما ذُكرَتْ نُعم
وقالوا شَرِبْتَ الإثمَ كلاّ وإنّما شرِبْتُ التي في تركِها عنديَ الإثم
هنيئاً لأهلِ الدّيرِ كمْ سكِروا بها وما شربوا منها ولكِنّهم هَمّوا
وعنديَ منها نَـشْوَةٌ قبلَ نشأتي معي أبداً تبقى وإنْ بَلِيَ العَظْم
عليكَ بها صِرْفاً وإن شئتَ مَزْجَها فَعَدْلُكَ عن ظَلْم الحبيب هو الظُّلم
فَدُونَكَهَا في الحانِ واستَجْلها به على نَـغَمِ الألحان فهيَ بها غُنْمُ
فما سكنَتْ والهمَّ يوماً بموضع كذلك لم يسكُنْ مع النَّغَم الغَم
وفي سكرةٍ منها ولَوْ عُمْرَ ساعةٍ تَرَى الدَّهْرَ عبداً طائعاً ولك الحُكْم
فلا عَيْشَ في الدُّنْيا لمَن عاشَ صاحياً ومَن لم يَمُتْ سُكْراً بها فاته الحزم
على نفسه فليَبْكِ مَن ضاع عُمْرُهُ وليسَ لهُ فيها نَصيبٌ ولا سهمُ

محمود درويش

(13 مارس 1941 . 9 أغسطس 2008)

لاعب النرد

يعد الشاعر محمود درويش من أهم الشعراء العرب في العصر الحديث ، وقد حمل على كاهله قضية الشعب الفلسطيني ، وفي هذه قصيدة التي تمثل سيرة الشاعر الذاتية ،يتخذ الشاعر العربي الكبير محمود درويش في آخر قصائده بعنوان "لاعب النرد" رؤى "لاعب النرد" الذي "يربح حينا ويخسر حينا" وهو مثل جميع الناس أو "أقل قليلا" فلاعب النرد يمثل حياة الشاعر.

تتناول "لاعب النرد" رؤية الشاعر تجاه الحياة والموت في رؤى فلسفية وكأنه يوع بها الحياة.

"تشبه "لاعب النرد" سيرة ذاتية تمثل حياة الشاعر كما تمثل حياة فلسطين ؛ إنها لوحات بمثل الوطن، تستشرف الماضي والحاضر والمستقبل برؤى فلسفية". واخترت مقتطفات من القصيدة :

"لاعب النرد" آخر قصائد درويش

مَنْ أَنا لأقول لكمْ
ما أَقول لكمْ ؟
وأَنا لم أكُنْ حجراً صَقَلَتْهُ المياهُ
فأصبح وجهاً
ولا قَصَباً ثقَبتْهُ الرياحُ
فأصبح ناياً ...
أَنا لاعب النَرْدِ ،
أَربح حيناً وأَخسر حيناً
أَنا مثلكمْ
أَو أَقلُّ قليلاً ...
وُلدتُ إلى جانب البئرِ
والشجراتِ الثلاثِ الوحيدات كالراهباتْ
وُلدتُ بلا زَفّةٍ وبلا قابلةْ

وسُمِّيتُ باسمي مُصَادَفَةً
وانتميتُ إلى عائلةْ
مصادفَةً ،
ووَرِثْتُ ملامحها والصفاتْ
وأَمراضها :
أَولاً – خَلَلاً في شراييِنها
وضغطَ دمٍ مرتفعْ
ثانياً – خجلاً في مخاطبة الأمِّ والأَبِ
والجدَّة – الشجرةْ
ثالثاً – أَملاً في الشفاء من الانفلونزا
بفنجان بابونجٍ ساخنٍ
رابعاً – كسلاً في الحديث عن الظبي والقُبَّرة
خامساً – مللاً في ليالي الشتاءْ
سادساً – فشلاً فادحاً في الغناءْ ...
ليس لي أَيُّ دورٍ بما كنتُ
كانت مصادفةً أَن أكونْ
ذَكَراً ...
ومصادفةً أَن أَرى قمراً
شاحباً مثل ليمونة يَتغزل بالساهرات
ولم أَجتهد
كي أَجدْ
شامةً في...مواضع جسمي !
كان يمكن أن لا أكونْ
كان يمكن أن لا يكون أَبي
قد تزوَّج أمي مصادفةً
أَو أكونْ
مثل أختي التي صرخت ثم ماتت
ولم تنتبه

إلى أَنها وُلدت ساعةً واحدةْ
ولم تعرف الوالدةْ ...
أَو : كَبَيْض حَمَامٍ تكسَّرَ
قبل انبلاج فِراخ الحمام من الكِلْسِ /
كانت مصادفة أَن أكون
أنا الحيّ في حادث الباصِ
حيث تأخَّرْتُ عن رحلتي المدرسيّةْ
لأني نسيتُ الوجود وأَحواله
عندما كنت أَقرأ في الليل قصَّةَ حُبٍّ
تَقمَّصْتُ دور المؤلف فيها
ودورَ الحبيب – الضحيَّةْ
فكنتُ شهيد الهوى في الروايةِ
والحيَّ في حادث السيرِ /
لا دور لي في المزاح مع البحرِ
لكنني وَلَدٌ طائشٌ
من هُواة التسكّع في جاذبيّة ماءٍ
ينادي : تعال إليَّْ !
ولا دور لي في النجاة من البحرِ
أَنْقَذَني نورسٌ آدميٌّ
رأى الموج يصطادني ويشلُّ يديَّْ
كان يمكن أَلاَّ أكون مُصاباً
بجنِّ الُمعَلَّقة الجاهليّةِ
لو أَن بوَّابة الدار كانت شماليّةً
لا تطلُّ على البحرِ
لو أَن دوريّةَ الجيش لم تر نار القرى
تخبز الليلَ
لو أَن خمسة عشر شهيداً
أَعادوا بناء المتاريسِ

لو أَن ذاك المكان الزراعيَّ لم ينكسرْ
رُبَّما صرتُ زيتونةً
أو مُعَلِّم جغرافيا
أو خبيراً بمملكة النمل
أو حارساً للصدى !
مَنْ أنا لأقول لكم
ما أقول لكم
ولستُ سوى رمية النرد
ما بين مُفْتَرِسٍ وفريسةْ
ربحت مزيداً من الصحو
لا لأكون سعيداً بليلتيَ المقمرةْ
بل لكي أَشهد المجزرةْ
نجوتُ مصادفةً : كُنْتُ أَصغرَ من هَدَف عسكريّ
وأكبرَ من نحلة تتنقل بين زهور السياجْ
وخفتُ كثيراً على إخوتي وأَبي
وخفتُ على زَمَنٍ من زجاجْ
وخفتُ على قطتي وعلى أَرنبي
وعلى قمر ساحر فوق مئذنة المسجد العاليةْ
وخفت على عِنَبِ الداليةْ
...
ومشى الخوفُ بي ومشيت بهِ
حافياً ، ناسياً ذكرياتي الصغيرة عما أريدُ
من الغد – لا وقت للغد –
أَمشي / أهرولُ / أركضُ / أصعدُ / أنزلُ / أصرخُ /أَنبحُ / أعوي / أنادي / أولولُ / أسرعُ / أبطئ / أهوي/ أخفُّ / أجفُّ / أسيرُ / أطيرُ / أرى / لا أرى / أتعثَّرُ/ أصفرُّ / أخضرُّ / أزرقُّ / أنشقُّ / أجهشُ / أعطشُ/ أتعبُ / أسغَبُ / أسقطُ / أنهضُ / أركضُ / أنسى/ أرى / لا أرى / أتذكَّر / أَسمعُ / أبصرُ / أهذي /أُهَلْوِس / أهمسُ / أصرخُ / لا

أستطيع / أَنَنُّ / أجنّ /أَضلّ / أقلُّ / وأكثرُ / أسقط / أعلو / وأهبط / أدْمَى/ ويغمى عليّ /
ومن حسن حظّيَ أن الذئاب اختفت من هناك
مُصَادفةً ، أو هروباً من الجيشِ /
لا دور لي في حياتي
سوى أَنني ،
عندما عَلَّمتني تراتيلها ،
قلتُ : هل من مزيد ؟
وأَوقدتُ قنديلها
ثم حاولتُ تعديلها ...
كان يمكن أن لا أكون ...
لو أرادت لِيَ الريحُ ذلك ،
والريح حظُّ المسافرِ ...
شمألتُ ، شرَّقتُ ، غَرَّبتُ
أما الجنوب فكان قصياً عصيّاً عليَّ
لأن الجنوب بلادي
فصرتُ مجازا، أحلِّق فوق حطامي
ربيعاً خريفاً ..
...
مَنْ أَنا لأقول لكم
ما أقولُ لكم ،
مَنْ أنا ؟
كان يمكن أن لا يحالفني الوحيُ
والوحي حظُّ الوحيدين
« إنَّ القصيدة رَمْيَةُ نَرْدٍ »
على رُقْعَةٍ من ظلامْ
تشعُّ ، وقد لا تشعُّ
فيهوي الكلامْ

كريش على الرملِ /
لا دَوْرَ لي في القصيدة
غيرُ امتثالي لإيقاعها :
حركاتِ الأحاسيس حسّاً يعدِّل حساً
وحَدْساً يُنَزِّلُ معنى
وغيبوبة في صدى الكلمات
وصورة نفسي التي انتقلت
إلى غيرها « أَنايَ » من
واعتمادي على نَفَسِي
وحنيني إلى النبعِ /
لا دور لي في القصيدة إلاَّ
إذا انقطع الوحيُ
والوحيُ حظُّ المهارة إذ تجتهدْ
كان يمكن ألاَّ أحبّ الفتاة التي
سألتني : كمِ الساعةُ الآنَ ؟
لو لم أَكن في طريقي إلى السينما ...
كان يمكن ألاَّ تكون خلاسيّةً مثلما
هي ، أو خاطراً غامقاً مبهما ...
هكذا تولد الكلماتُ . أدرِّبُ قلبي
على الحب كي يَسَعَ الورد والشوكَ ...
صوفيَّةٌ مفرداتي . وحسِّيَّةٌ رغباتي
ولستُ أنا مَنْ أنا الآن إلاَّ
إذا التقتِ الاثنتانِ :
أَنا ، وأَنا الأنثويَّةُ
يا حُبّ ! ما أَنت ؟ كم أنتَ أنتَ
ولا أنتَ . يا حبّ ! هُبَّ علينا
عواصفَ رعديّةً كي نصير إلى ما تحبّ
لنا من حلول السماويِّ في الجسديّ .

وذُبْ في مصبّ يفيض من الجانبين .
فأنت – وإن كنت تظهر أَو تَتَبطَّنُ –
لا شكل لك
ونحن نحبك حين نحبُّ مصادفةً
أَنت حظّ المساكين /
من سوء حظّيَ أَني نجوت مراراً
من الموت حبّاً
ومن حُسْن حظّي أنيَ ما زلت هشاً
لأدخل في التجربةْ !
يقول المحبُّ المجرّبُ في سرّهِ :
هو الحبُّ كذبتنا الصادقةْ
فتسمعه العاشقةْ
وتقول : هو الحبّ ، يأتي ويذهبُ
كالبرق والصاعقة
للحياة أقول : على مهلك ، انتظريني
إلى أن تجفَّ الثُمَالَةُ في قَدَحي ...
في الحديقة وردٌ مشاع ، ولا يستطيع
الهواءُ
الفكاكَ من الوردةِ /
انتظريني لئلاَّ تفرَّ العنادلُ مِنّي
فأُخطئ في اللحنِ /
في الساحة المنشدون يَشُدُّون أوتار آلاتهمْ
لنشيد الوداع . على مَهْلِكِ اختصريني
لئلاَّ يطول النشيد ، فينقطع النبرُ بين المطالع ،
وَهْيَ ثنائيَّةٌ والختامِ الأُحاديّ :
تحيا الحياة !
على رسلك احتضنيني لئلاَّ تبعثرني الريحُ /
حتى على الريح ، لا أستطيع الفكاك

من الأبجدية /
لولا وقوفي على جَبَلٍ
لفرحتُ بصومعة النسر : لا ضوء أَعلى !
ولكنَّ مجداً كهذا المُتوَّجِ بالذهب الأزرق اللانهائيّ
صعبُ الزيارة : يبقى الوحيدُ هناك وحيداً
ولا يستطيع النزول على قدميه
فلا النسر يمشي
ولا البشريُّ يطير
فيا لك من قمَّة تشبه الهاوية
أنت يا عزلة الجبل العالية !
ليس لي أيُّ دور بما كُنْتُ
أو سأكونْ ...
هو الحظُّ . والحظ لا اسم لَهُ
قد نُسَمّيه حدَّادَ أَقدارنا
أو نُسَمّيه ساعي بريد السماء
نُسَمّيه نجَّارَ تَخْتِ الوليد ونعشِ الفقيد
نسمّيه خادم آلهة في أساطيرَ
نحن الذين كتبنا النصوص لهم
واختبأنا وراء الأولمب ...
فصدَّقهم باعةُ الخزف الجائعون
وكَذَّبَنا سادةُ الذهب المتخمون
ومن سوء حظ المؤلف أن الخيال
هو الواقعيُّ على خشبات المسارحِ /
خلف الكواليس يختلف الأَمرُ
ليس السؤال : متى ؟
بل : لماذا ؟ وكيف ؟ وَمَنْ
مَنْ أنا لأقول لكم
ما أقول لكم ؟

كان يمكن أن لا أكون
وأن تقع القافلةْ
في كمين ، وأن تنقص العائلةْ
ولداً ،
هو هذا الذي يكتب الآن هذي القصيدةَ
حرفاً فحرفاً ، ونزفاً ونزفاً
على هذه الكنبةْ
بدمٍ أسود اللون ، لا هو حبر الغراب
ولا صوتُهُ ،
بل هو الليل مُعْتَصراً كُلّه
قطرةً قطرةً ، بيد الحظِّ والموهبةْ
كان يمكن أن يربح الشعرُ أكثرَ لو
لم يكن هو ، لا غيره ، هُدْهُداً
فوق فُوَهَّة الهاويةْ
ربما قال : لو كنتُ غيري
لصرتُ أنا، مرَّةً ثانيةْ
هكذا أَتحايل : نرسيس ليس جميلاً
كما ظنّ . لكن صُنَّاعَهُ
ورَّطوهُ بمرآته . فأطال تأمُّلَهُ
في الهواء المقَطَّر بالماء ...
لو كان في وسعه أن يرى غيره
لأحبَّ فتاةً تحملق فيه ،
وتنسى الأيائل تركض بين الزنابق والأقحوان ...
ولو كان أَذكى قليلاً
لحطَّم مرآتَهُ
ورأى كم هو الآخرون ...
ولو كان حُرّاً لما صار أسطورةً ...
والسرابُ كتابُ المسافر في البيد ...

لولاه ، لولا السراب ، لما واصل السيرَ
بحثاً عن الماء . هذا سحاب – يقول
ويحمل إبريق آماله بِيَدٍ وبأخرى
يشدُّ على خصره . ويدقُّ خطاه على الرملِ
كي يجمع الغيم في حُفْرةٍ .
والسراب يناديه
يُغْويه ، يخدعه ، ثم يرفعه فوق : إقرأ
إذا ما استطعتَ القراءةَ . واكتبْ إذا
ما استطعت الكتابة . يقرأ : ماء ، وماء ،
وماء .
ويكتب سطراً على الرمل : لولا السراب
لما كنت حيّاً إلى الآن /
من حسن حظِّ المسافر أن الأملْ
توأمُ اليأس ، أو شعرُهُ المرتجل
حين تبدو السماءُ رماديّةً
وأَرى وردة نَتَأَتْ فجأةً
من شقوق جدارْ
لا أقول : السماء رماديّةٌ
بل أطيل التفرُّس في وردةٍ
وأَقول لها : يا له من نهارْ !
ولاثنين من أصدقائي أقول على مدخل
الليل :
إن كان لا بُدَّ من حُلُم ، فليكُنْ
مثلنا ... وبسيطاً
كأنْ : نَتَعَشَّى معاً بعد يَوْمَيْنِ
نحن الثلاثة ،
مُحْتَفلين بصدق النبوءة في حُلْمنا
وبأنَّ الثلاثة لم ينقصوا واحداً

منذ يومين ،
فلنحتفل بسوناتا القمرْ
وتسامُحِ موت رآنا معاً سعداء
فغضَّ النظرْ !
لا أَقول : الحياة بعيداً هناك حقيقيَّةٌ
وخياليَّةُ الأمكنةْ
بل أقول : الحياة ، هنا ، ممكنةْ
ومصادفةً ، صارت الأرض أرضاً مُقَدَّسَةً
لا لأنَّ بحيراتها ورباها وأشجارها
نسخةٌ عن فراديس علويَّةٍ
بل لأن نبيّاً تمشَّى هناك
وصلَّى على صخرة فبكتْ
وهوى التلُّ من خشية الله
مُغْمىً عليه
ومصادفةً ، صار منحدر الحقل في بَلَدٍ
متحفاً للهباء ...
لأن ألوفاً من الجند ماتت هناك
من الجانبين ، دفاعاً عن القائِدَيْنِ اللذين
يقولان : هيّا . وينتظران الغنائمَ في
خيمتين حريرَيتَين من الجهتين ...
يموت الجنود مراراً ولا يعلمون
إلى الآن مَنْ كان منتصراً !
ومصادفةً ، عاش بعض الرواة وقالوا :
لو انتصر الآخرون على الآخرين
لكانت لتاريخنا البشريّ عناوينُ أخرى
يا أرضُ خضراءَ . تُفَّاحَةً . « أحبك خضراءَ »
تتموَّج في الضوء والماء . خضراء . ليلُكِ
أَخضر . فجرك أَخضر . فلتزرعيني برفق...

برفقِ يَدِ الأم ، في حفنة من هواء .
أَنا بذرة من بذورك خضراء ... /
تلك القصيدة ليس لها شاعر واحدٌ
كان يمكن ألا تكون غنائيَّةَ ...
من أنا لأقول لكم
ما أَقول لكم ؟
كان يمكن أَلاَّ أكون أَنا مَنْ أَنا
كان يمكن أَلاَّ أكون هنا ...
كان يمكن أَن تسقط الطائرةْ
بي صباحاً ،
ومن حسن حظّيَ أَني نَؤُوم الضحى
فتأخَّرْتُ عن موعد الطائرةْ
كان يمكن أَلاَّ أرى الشام والقاهرةْ
ولا متحف اللوفر ، والمدن الساحرةْ
كان يمكن ، لو كنت أَبطأَ في المشي ،
أَن تقطع البندقيّةُ ظِلّي
عن الأرزة الساهرةْ
كان يمكن ، لو كنتُ أَسرع في المشي ،
أَن أَتشظّى
وأصبح خاطرةً عابرةْ
كان يمكن ، لو كُنْتُ أَسرف في الحلم ،
أَن أَفقد الذاكرة .
ومن حسن حظِّيَ أَني أنام وحيداً
فأصغي إلى جسدي
وُأصدِّقُ موهبتي في اكتشاف الألمْ
فأنادي الطبيب، قُبَيل الوفاة، بعشر دقائق
عشر دقائق تكفي لأحيا مُصَادَفَةً
وُأخيِّب ظنّ العدم

مَنْ أَنا لأخيِّب ظنَّ العدم ؟
مَنْ أنا ؟ مَنْ أنا ؟

نشرت في الثاني من تموز (يوليو)2008

أحمد شوقي

وُلِدَ الهُدى

وُلِـــــــدَ الهُـــــــدى فَالكائِنـــــــاتُ ضِـــــــياءُ"
"وَفَـــــــمُ الزَمـــــــانِ تَبَسُّـــــــمٌ وَثَنـــــــاءُ
الـــــــروحُ وَالمَـــــــلَأُ المَلائِـــــــكُ حَولَـــــــهُ"
"لِلـــــــدينِ وَالـــــــدُنيا بِـــــــهِ بُشَـــــــراءُ
وَالعَـــــــرشُ يَزهـــــــو وَالحَظيـــــــرَةُ تَزدَهـــــــي"
"وَالمُنتَهـــــــى وَالسِـــــــدرَةُ العَصـــــــماءُ
وَحَديقَـــــــةُ الفُرقـــــــانِ ضـــــــاحِكَةُ الرُبـــــــا"
"بِالتُرجُمـــــــانِ شَـــــــذِيَّةٌ غَنّـــــــاءُ
وَالـــــــوَحيُ يَقطُـــــــرُ سَلسَـــــــلًا مِـــــــن سَلسَـــــــلٍ"
"وَاللَـــــــوحُ وَالقَلَـــــــمُ البَـــــــديعُ رُواءُ
نُظِمَـــــــت أَســـــــامي الرُســـــــلِ فَهـــــــيَ صَـــــــحيفَةٌ"
"فـــــــي اللَـــــــوحِ وَاســـــــمُ مُحَمَّـــــــدٍ طُغَـــــــراءُ
اســـــــمُ الجَلالَـــــــةِ فـــــــي بَـــــــديعِ حُروفِـــــــهِ"
"أَلِـــــــفٌ هُنالِـــــــكَ وَاســـــــمُ طَـــــــهَ البـــــــاءُ
يـــــــا خَيـــــــرَ مَـــــــن جـــــــاءَ الوُجـــــــودَ تَحِيَّـــــــةً"
"مِـــــــن مُرسَـــــــلينَ إِلـــــــى الهُـــــــدى بِـــــــكَ جـــــــاؤوا
بَيـــــــتُ النَبِيّـــــــينَ الَّـــــــذي لا يَلتَقـــــــي"
"إِلّا الحَنـــــــائِفُ فيـــــــهِ وَالحُنَفـــــــاءُ
خَيـــــــرُ الأُبُـــــــوَّةِ حـــــــازَهُمْ لَـــــــكَ آدَمٌ"
"دونَ الأَنـــــــامِ وَأَحـــــــرَزَت حَـــــــوّاءُ
هُـــــــم أَدرَكـــــــوا عِـــــــزَّ النُبُـــــــوَّةِ وَانتَهَـــــــت"
"فيهـــــــا إِلَيـــــــكَ العِـــــــزَّةُ القَعســـــــاءُ
خُلِقَـــــــت لِبَيتِـــــــكَ وَهـــــــوَ مَخلـــــــوقٌ لَهـــــــا"
"إِنَّ العَظـــــــائِمَ كُفؤُهـــــــا العُظَمـــــــاءُ
بِـــــــكَ بَشَّـــــــرَ اللهُ السَـــــــماءَ فَزُيِّنَـــــــت"
"وَتَضَـــــــوَّعَت مِســـــــكًا بِـــــــكَ الغَبـــــــراءُ
وَبَـــــــدا مُحَيّـــــــاكَ الَّـــــــذي قَسَـــــــماتُهُ"
"حَـــــــقٌّ وَغُرَّتُـــــــهُ هُـــــــدىً وَحَيـــــــاءُ
وَعَلَيـــــــهِ مِـــــــن نـــــــورِ النُبُـــــــوَّةِ رَونَـــــــقٌ"
"وَمِـــــــنَ الخَليـــــــلِ وَهَديِـــــــهِ سِـــــــيماءُ
أَثنـــــــى المَســـــــيحُ عَلَيـــــــهِ خَلـــــــفَ سَـــــــمائِهِ"
"وَتَهَلَّلَـــــــت وَاهتَـــــــزَّتِ العَـــــــذراءُ

يَـــــــومٌ يَتيـــــــهُ عَلـــــــى الزَمـــــــانِ صَـــــــباحُهُ"
"وَمَســـــــــاؤُهُ بِمُحَمَّـــــــــدٍ وَضّـــــــــاءُ
الحَـــــــقُّ عـــــــالي الـــــــرُكنِ فيـــــــهِ مُظَفَّـــــــرٌ"
"فـــــــي المُلـــــــكِ لا يَعلـــــــو عَلَيـــــــهِ لِـــــــواءُ
ذُعِـــــــرَت عُـــــــروشُ الظـــــــالِمينَ فَزُلزِلَـــــــت"
"وَعَلَـــــــت عَلـــــــى تيجـــــــانِهِم أَصـــــــداءُ
وَالنـــــــارُ خاوِيَـــــــةُ الجَوانِـــــــبِ حَـــــــولَهُمْ"
"خَمَـــــــدَت ذَوائِبُهـــــــا وَغـــــــاضَ المـــــــاءُ
وَالآيُ تَتـــــــــرى وَالخَـــــــــوارِقُ جَمَّـــــــــةٌ"
"جِبريـــــــــلُ رَوّاحٌ بِهـــــــــا غَـــــــــدّاءُ
نِعـــــــمَ اليَتـــــــيمُ بَـــــــدَت مَخايِـــــــلُ فَضـــــــلِهِ"
"وَاليُـــــــتمُ رِزقٌ بَعضُـــــــهُ وَذَكـــــــاءُ
فـــــــي المَهـــــــدِ يُستَســـــــقى الحَيـــــــا بِرَجائِـــــــهِ"
"وَبِقَصـــــــدِهِ تُســـــــتَدفَعُ البَأســـــــاءُ
بِسِـــــــوى الأَمانَـــــــةِ فـــــــي الصِـــــــبا وَالصِـــــــدقِ لَـــــــم"
"يَعرِفـــــــهُ أَهـــــــلُ الصِـــــــدقِ وَالأُمَنـــــــاءُ
يـــــــا مَـــــــن لَـــــــهُ الأَخـــــــلاقُ مـــــــا تَهـــــــوى العُـــــــلا"
"مِنهـــــــا وَمـــــــا يَتَعَشَّـــــــقُ الكُبَـــــــراءُ
لَـــــــو لَـــــــم تُقِـــــــم دينًـــــــا لَقامَـــــــت وَحـــــــدَها"
"دينًـــــــا تُضـــــــيءُ بِنـــــــورِهِ الآنـــــــاءُ
زانَتـــــــكَ فـــــــي الخُلُـــــــقِ العَظـــــــيمِ شَـــــــمائِلٌ"
"يُغـــــــرى بِهِـــــــنَّ وَيولَـــــــعُ الكُرَمـــــــاءُ
أَمّـــــــا الجَمـــــــالُ فَأَنـــــــتَ شَـــــــمسُ سَـــــــمائِهِ"
"وَمَلاحَـــــــةُ الصِـــــــدّيقِ مِنـــــــكَ أَيـــــــاءُ
وَالحُســـــــنُ مِـــــــن كَـــــــرَمِ الوُجـــــــوهِ وَخَيـــــــرُهُ"
"مـــــــا أوتِـــــــيَ القُـــــــوّادُ وَالزُعَمـــــــاءُ
فَـــــــإِذا سَـــــــخَوتَ بَلَغـــــــتَ بِـــــــالجودِ المَـــــــدى"
"وَفَعَلـــــــتَ مـــــــا لا تَفعَـــــــلُ الأَنـــــــواءُ
وَإِذا عَفَـــــــوتَ فَقـــــــادِرًا وَمُقَـــــــدَّرًا"
"لا يَســـــــتَهينُ بِعَفـــــــوِكَ الجُهَـــــــلاءُ
وَإِذا رَحِمـــــــتَ فَأَنـــــــتَ أُمٌّ أَو أَبٌ"
"هَـــــــذانِ فـــــــي الـــــــدُنيا هُمـــــــا الرُحَمـــــــاءُ
وَإِذا غَضِـــــــبتَ فَإِنَّمـــــــا هِـــــــيَ غَضـــــــبَةٌ"
"فـــــــي الحَـــــــقِّ لا ضِـــــــغنٌ وَلا بَغضـــــــاءُ
وَإِذا رَضـــــــيتَ فَـــــــذاكَ فـــــــي مَرضـــــــاتِهِ"
"وَرِضـــــــا الكَثيـــــــرِ تَحَلُّـــــــمٌ وَرِيـــــــاءُ

وَإذا خَطَبتَ فَلِلمَنابِرِ هِزَّةٌ
تَعرو النَدِيَّ وَلِلقُلوبِ بُكاءُ
وَإذا قَضَيتَ فَلا ارتِيابَ كَأَنَّما
جاءَ الخُصومَ مِنَ السَماءِ قَضاءُ
وَإذا حَمَيتَ المـاءَ لَم يورَد وَلَو
أَنَّ القَياصِرَ وَالمُلوكَ ظِماءُ
وَإذا أَجَرتَ فَأَنتَ بَيتُ اللهِ لَم
يَدخُل عَلَيهِ المُستَجيرَ عَداءُ
وَإذا مَلَكتَ النَفسَ قُمتَ بِبِرِّها
وَلَو اَنَّ ما مَلَكَت يَداكَ الشاءُ
وَإذا بَنَيتَ فَخَيرُ زَوجٍ عِشرَةً
وَإذا ابتَنَيتَ فَدونَكَ الآباءُ
وَإذا صَحِبتَ رَأى الوَفاءَ مُجَسَّمًا
في بُردِكَ الأَصحابُ وَالخُلَطاءُ
وَإذا أَخَذتَ العَهدَ أَو أَعطَيتَهُ
فَجَميعُ عَهدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفاءُ
وَإذا مَشَيتَ إِلى العِدا فَغَضَنفَرٌ
وَإذا جَرَيتَ فَإِنَّكَ النَكباءُ
وَتَمُدُّ حِلمَكَ لِلسَفيهِ مُداريًا
حَتّى يَضيقَ بِعَرضِكَ السُفَهاءُ
في كُلِّ نَفسٍ مِن سُطاكَ مَهابَةٌ
وَلِكُلِّ نَفسٍ في نَداكَ رَجاءُ
وَالرَأيُ لَم يُنضَ المُهَنَّدُ دونَهُ
كَالسَيفِ لَم تَضرِب بِهِ الآراءُ
يأَيُّها الأُمِيُّ حَسبُكَ رُتبَةً
في العِلمِ أَن دانَت بِكَ العُلَماءُ
الذِكرُ آيَةُ رَبِّكَ الكُبرى الَّتي
فيها لِباغي المُعجِزاتِ غَناءُ
صَدرُ البَيانِ لَهُ إِذا التَقَتِ اللُغى
وَتَقَدَّمَ البُلَغاءُ وَالفُصَحاءُ
نُسِخَت بِهِ التَوراةُ وَهيَ وَضيئَةٌ
وَتَخَلَّفَ الإِنجيلُ وَهوَ ذُكاءُ
لَمّا تَمَشّى في الحِجازِ حَكيمُهُ
فُضَّت عُكاظُ بِهِ وَقامَ حِراءُ
أَزرى بِمَنطِقِ أَهلِهِ وَبَيانِهِمْ
وَحيٌ يُقَصِّرُ دونَهُ البُلَغاءُ

حَسَدوا فَقالوا شاعِرٌ أَو ساحِرٌ"
"وَمِنَ الحَسودِ يَكونُ الاستِهزاءُ
قَد نالَ بِالهادي الكَريمِ وَبِالهُدى"
"ما لَم تَنَل مِن سُؤدُدٍ سيناءُ
أَمسى كَأَنَّكَ مِن جَلالِكَ أُمَّةٌ"
"وَكَأَنَّهُ مِن أُنسِهِ بَيداءُ
يوحى إِلَيكَ الفَوزُ في ظُلُماتِهِ"
"مُتَتابِعًا تُجلى بِهِ الظَلماءُ
دينٌ يُشَيَّدُ آيَةً في آيَةٍ"
"لَبِناتُهُ السوراتُ وَالأَدواءُ
الحَقُّ فيهِ هُوَ الأَساسُ وَكَيفَ لا"
"وَاللهُ جَلَّ جَلالُهُ البَنّاءُ
أَمّا حَديثُكَ في العُقولِ فَمَشرَعٌ"
"وَالعِلمُ وَالحِكَمُ الغَوالي الماءُ
هُوَ صِبغَةُ الفُرقانِ نَفحَةُ قُدسِهِ"
"وَالسينُ مِن سَوراتِهِ وَالراءُ
جَرَتِ الفَصاحَةُ مِن يَنابيعَ النُهى"
"مِن دَوحِهِ وَتَفَجَّرَ الإِنشاءُ
في بَحرِهِ لِلسابِحينَ بِهِ عَلى"
"أَدَبِ الحَياةِ وَعِلمِها إِرساءُ
أَتَتِ الدُهورُ عَلى سُلافَتِهِ وَلَم"
"تَفنَ السُلافُ وَلا سَلا النُدَماءُ
بِكَ يا ابنَ عَبدِ اللهِ قامَت سَمحَةٌ"
"بِالحَقِّ مِن مَلَلِ الهُدى غَرّاءُ
بُنِيَت عَلى التَوحيدِ وَهيَ حَقيقَةٌ"
"نادى بِها سُقراطُ وَالقُدَماءُ
وَجَدَ الزُعافَ مِنَ السُمومِ لِأَجلِها"
"كَالشَهدِ ثُمَّ تَتابَعَ الشُهَداءُ
وَمَشى عَلى وَجهِ الزَمانِ بِنورِها"
"كُهّانُ وادي النيلِ وَالعُرَفاءُ
إيزيسُ ذاتُ المُلكِ حينَ تَوَحَّدَت"
"أَخَذَت قِوامَ أُمورِها الأَشياءُ
لَمّا دَعَوتَ النَاسَ لَبّى عاقِلٌ"
"وَأَصَمَّ مِنكَ الجاهِلينَ نِداءُ
أَبَوا الخُروجَ إِلَيكَ مِن أَوهامِهِمْ"
"وَالنَاسُ في أَوهامِهِمْ سُجَناءُ

وَمِـــــــنَ العُقـــــــولِ جَـــــــداوِلٌ وَجَلامِـــــــدٌ"
"وَمِـــــــنَ النُفـــــــوسِ حَرائِـــــــرٌ وَإِمـــــــاءُ
داءُ الجَماعَـــــــةِ مِـــــــن أَرِســـــــطاليسَ لَـــــــم"
"يوصَـــــــف لَـــــــهُ حَتّـــــــى أَتَيـــــــتَ دَواءُ
فَرَسَـــــــمتَ بَعـــــــدَكَ لِلعِبـــــــادِ حُكومَـــــــةً"
"لا ســـــــوقَةٌ فيهـــــــا وَلا أُمَـــــــراءُ
اللهُ فَـــــــوقَ الخَلـــــــقِ فيهـــــــا وَحـــــــدَهُ"
"وَالنـــــــاسُ تَحـــــــتَ لِوائِهـــــــا أَكفـــــــاءُ
وَالـــــــدينُ يُســـــــرٌ وَالخِلافَـــــــةُ بَيعَـــــــةٌ"
"وَالأَمـــــــرُ شـــــــورى وَالحُقـــــــوقُ قَضـــــــاءُ
الإِشـــــــتِراكِيّونَ أَنـــــــتَ إِمـــــــامُهُمْ"
"لَـــــــولا دَعـــــــاوي القَـــــــومِ وَالغُلَـــــــواءُ
داوَيـــــــتَ مُتَّئِـــــــدًا وَداوَوا ظَفـــــــرَةً"
"وَأَخَـــــــفُّ مِـــــــن بَعـــــــضِ الـــــــدَواءِ الـــــــداءُ
الحَـــــــربُ فـــــــي حَـــــــقٍّ لَـــــــدَيكَ شَـــــــريعَةٌ"
"وَمِـــــــنَ السُـــــــمومِ الناقِعـــــــاتِ دَواءُ
وَالبِـــــــرُّ عِنـــــــدَكَ ذِمَّـــــــةٌ وَفَريضَـــــــةٌ"
"لا مِنَّـــــــةٌ مَمنونَـــــــةٌ وَجَبـــــــاءُ
جـــــــاءَت فَوَحَّـــــــدَتِ الزَكـــــــاةُ سَـــــــبيلَهُ"
"حَتّـــــــى التَقـــــــى الكُرَمـــــــاءُ وَالـــــــبُخَلاءُ
أَنصَـــــــفَت أَهـــــــلَ الفَقـــــــرِ مِـــــــن أَهـــــــلِ الغِنـــــــى"
"فَالكُـــــــلُّ فـــــــي حَـــــــقِّ الحَيـــــــاةِ سَـــــــواءُ
فَلَـــــــوَ اَنَّ إِنســـــــانًا تَخَيَّـــــــرَ مِلَّـــــــةً"
"مـــــــا اختـــــــارَ إِلّا دينَـــــــكَ الفُقَـــــــراءُ
يأَيُّهـــــــا المُســـــــرى بِـــــــهِ شَـــــــرَفًا إِلـــــــى"
"مـــــــا لا تَنـــــــالُ الشَـــــــمسُ وَالجَـــــــوزاءُ
يَتَســـــــاءَلونَ وَأَنـــــــتَ أَطهَـــــــرُ هَيكَـــــــلٍ"
"بِـــــــالروحِ أَم بِالهَيكَـــــــلِ الإِســـــــراءُ
بِهِمـــــــا سَـــــــموتَ مُطَهَّـــــــرَينِ كِلاهُمـــــــا"
"نـــــــورٌ وَرَيحانِيَّـــــــةٌ وَبَهـــــــاءُ
فَضـــــــلٌ عَلَيـــــــكَ لِـــــــذي الجَـــــــلالِ وَمِنَّـــــــةٌ"
"وَاللهُ يَفعَـــــــلُ مـــــــا يَـــــــرى وَيَشـــــــاءُ
تَغشـــــــى الغُيـــــــوبَ مِـــــــنَ العَـــــــوالِمِ كُلَّمـــــــا"
"طُوِيَـــــــت سَـــــــماءٌ قُلِّـــــــدَتكَ سَـــــــماءُ
فـــــــي كُـــــــلِّ مِنطَقَـــــــةٍ حَواشـــــــي نورُهـــــــا"
"نـــــــونٌ وَأَنـــــــتَ النُقطَـــــــةُ الزَهـــــــراءُ

أَنـــــتَ الجَمـــــالُ بِهـــــا وَأَنـــــتَ المُجتَلـــــى"
"وَالكَـــــفُّ وَالمِـــــرآةُ وَالحَســـــناءُ
اللهُ هَيَّـــــأَ مِـــــن حَظيـــــرَةِ قُدسِـــــهِ"
"نَـــــزُلًا لِـــــذاتِكَ لَـــــم يَجُـــــزهُ عَـــــلاءُ
العَـــــرشُ تَحتَـــــكَ سُـــــدَّةً وَقَوائِمًـــــا"
"وَمَناكِـــــبُ الـــــروحِ الأَمـــــينِ وِطـــــاءُ
وَالرُســـــلُ دونَ العَـــــرشِ لَـــــم يُـــــؤذَن لَهُـــــمْ"
"حاشـــــا لِغَيـــــرِكَ مَوعِـــــدٌ وَلِقـــــاءُ
الخَيـــــلُ تَـــــأبى غَيـــــرَ أَحمَـــــدَ حامِيًـــــا"
"وَبِهـــــا إِذا ذُكِـــــرَ اســـــمُهُ خُـــــيَلاءُ
شَـــــيخُ الفَـــــوارِسِ يَعلَمـــــونَ مَكانَـــــهُ"
"إِن هَيَّجَـــــت آســـــادَها الهَيجـــــاءُ
وَإِذا تَصَـــــدّى لِلظُبـــــا فَمُهَنَّـــــدٌ"
"أَو لِلرِمـــــاحِ فَصَـــــعدَةٌ سَـــــمراءُ
وَإِذا رَمـــــى عَـــــن قَوسِـــــهِ فَيَمينُـــــهُ"
"قَـــــدَرٌ وَمـــــا تُرمـــــى اليَمـــــينُ قَضـــــاءُ
مِـــــن كُـــــلِّ داعـــــي الحَـــــقِّ هِمَّـــــةُ سَـــــيفِهِ"
"فَلِسَـــــيفِهِ فـــــي الراسِـــــياتِ مَضـــــاءُ
ســـــاقي الجَـــــريحِ وَمُطعِـــــمُ الأَســـــرى وَمَـــــن"
"أَمِنَـــــت سَـــــنابِكَ خَيلِـــــهِ الأَشـــــلاءُ
إِنَّ الشَـــــجاعَةَ فـــــي الرِجـــــالِ غَلاظَـــــةٌ"
"مـــــا لَـــــم تَزِنهـــــا رَأفَـــــةٌ وَسَـــــخاءُ
وَالحَـــــربُ مِـــــن شَـــــرَفِ الشُـــــعوبِ فَـــــإِن بَغَـــــوا"
"فَالمَجـــــدُ مِمّـــــا يَـــــدَّعونَ بَـــــراءُ
وَالحَـــــربُ يَبعَثُهـــــا القَـــــوِيُّ تَجَبُّـــــرًا"
"وَيَنـــــوءُ تَحـــــتَ بَلائِهـــــا الضُـــــعَفاءُ
كَـــــم مِـــــن غُـــــزاةٍ لِلرَســـــولِ كَريمَـــــةٍ"
"فيهـــــا رِضـــــىً لِلحَـــــقِّ أَو إِعـــــلاءُ
كانَـــــت لِجُنـــــدِ اللهِ فيهـــــا شِـــــدَّةٌ"
"فـــــي إِثرِهـــــا لِلعـــــالَمينَ رَخـــــاءُ
ضَـــــرَبوا الضَـــــلالَةَ ضَـــــربَةٌ ذَهَبَـــــت بِهـــــا"
"فَعَلـــــى الجَهالَـــــةِ وَالضَـــــلالِ عَفـــــاءُ
دَعَمـــــوا عَلـــــى الحَـــــربِ السَـــــلامَ وَطالَمـــــا"
"حَقَنَـــــت دِمـــــاءً فـــــي الزَمـــــانِ دِمـــــاءُ
الحَـــــقُّ عِـــــرضُ اللهِ كُـــــلُّ أَبِيَّـــــةٍ"
"بَـــــينَ النُفـــــوسِ حِمـــــىً لَـــــهُ وَوِقـــــارُ

هَـــــل كـــــانَ حَـــــولَ مُحَمَّـــــدٍ مِـــــن قَومِـــــهِ"
"إِلا صَـــــــبِيٌّ واحِـــــــدٌ وَنِســـــــاءُ
فَـــــدَعا فَلَبّـــــى فـــــي القَبائِـــــلِ عُصـــــبَةٌ"
"مُستَضـــــــعَفونَ قَلائِـــــــلٌ أَنضـــــــاءُ
رَدّوا بِبَـــــأسِ العَـــــزمِ عَنـــــهُ مِـــــنَ الأَذى"
"مـــــا لا تَـــــرُدُّ الصَـــــخرَةُ الصَـــــمّاءُ
وَالحَـــــقُّ وَالإيمـــــانُ إِن صُـــــبّا عَلـــــى"
"بُـــــردٍ فَفيـــــهِ كَتيبَـــــةٌ خَرســـــاءُ
نَسَـــــفوا بِنـــــاءَ الشِـــــركِ فَهـــــوَ خَرائِـــــبٌ"
"وَاستَأصَـــــلوا الأَصـــــنامَ فَهـــــيَ هَبـــــاءُ
يَمشـــــونَ تُغضـــــي الأَرضُ مِـــــنهُمْ هَيبَـــــةً"
"وَبِهِـــــمْ حِيـــــالَ نَعيمِهـــــا إِغضـــــاءُ
حَتّـــــى إِذا فُتِحَـــــت لَهُـــــمْ أَطرافُهـــــا"
"لَـــــم يُطغِهِـــــمْ تَـــــرَفٌ وَلا نَعمـــــاءُ
يـــــا مَـــــن لَـــــهُ عِـــــزُّ الشَـــــفاعَةِ وَحـــــدَهُ"
"وَهـــــوَ المُنَـــــزَّهُ مـــــا لَـــــهُ شُـــــفَعاءُ
عَـــــرشُ القِيامَـــــةِ أَنـــــتَ تَحـــــتَ لِوائِـــــهِ"
"وَالحَـــــوضُ أَنـــــتَ حِيالَـــــهُ السَـــــقاءُ
تَـــــروي وَتَســـــقي الصـــــالِحينَ ثَـــــوابَهُمْ"
"وَالصـــــالِحاتُ ذَخـــــائِرٌ وَجَـــــزاءُ
أَلِمِثـــــلِ هَـــــذا ذُقـــــتَ فـــــي الـــــدُنيا الطَـــــوى"
"وَانشَـــــقَّ مِـــــن خَلَـــــقٍ عَلَيـــــكَ رِداءُ
لـــــي فـــــي مَـــــديحِكَ يـــــا رَســـــولُ عَـــــرائِسٌ"
"تُـــــبِّمنَ فيـــــكَ وَشـــــاقَهُنَّ جَـــــلاءُ
هُـــــنَّ الحِســـــانُ فَـــــإِن قَبِلـــــتَ تَكَرُّمًـــــا"
"فَمُهـــــورُهُنَّ شَـــــفاعَةٌ حَســـــناءُ
أَنـــــتَ الَّـــــذي نَظَـــــمَ البَرِيَّـــــةَ دينُـــــهُ"
"مـــــاذا يَقـــــولُ وَيَـــــنظُمُ الشُـــــعَراءُ
المُصـــــلِحونَ أَصـــــابِعٌ جُمِعَـــــت يَـــــدًا"
"هِـــــيَ أَنـــــتَ بَـــــل أَنـــــتَ اليَـــــدُ البَيضـــــاءُ
مـــــا جِئـــــتُ بابَـــــكَ مادِحًـــــا بَـــــل داعِيًـــــا"
"وَمِـــــنَ المَـــــديحِ تَضَـــــرُّعٌ وَدُعـــــاءُ
أَدعـــــوكَ عَـــــن قَـــــومي الضِـــــعافِ لِأَزمَـــــةٍ"
"فـــــي مِثلِهـــــا يُلقـــــى عَلَيـــــكَ رَجـــــاءُ
أَدرى رَســـــولُ اللهِ أَنَّ نُفوسَـــــهُمْ"
"رَكِبَـــــت هَواهـــــا وَالقُلـــــوبُ هَـــــواءُ

مُتَفَكِّكـــــــــونَ فَمـــــــــا تَضُـــــــــمُّ نُفوسَـــــــــهُمْ
"ثِقَـــــــــةٌ وَلا جَمَـــــــــعَ القُلـــــــــوبَ صَـــــــــفاءُ
رَقَـــــــــدوا وَغَـــــــــرَّهُمُ نَعـــــــــيمٌ باطِـــــــــلٌ"
"وَنَعـــــــــيمُ قَـــــــــومٍ فـــــــــي القُيـــــــــودِ بَـــــــــلاءُ
ظَلَمـــــــــوا شَـــــــــريعَتَكَ الَّتـــــــــي نِلنـــــــــا بِهـــــــــا"
"مـــــــــا لَـــــــــم يَنَـــــــــل فـــــــــي رومَـــــــــةَ الفُقَهـــــــــاءُ
مَشَـــــــــتِ الحَضـــــــــارَةُ فـــــــــي سَـــــــــناها وَاهتَـــــــــدى"
"فـــــــــي الـــــــــدينِ وَالـــــــــدُنيا بِهـــــــــا السُـــــــــعَداءُ
صَـــــــــلّى عَلَيـــــــــكَ اللهُ مـــــــــا صَـــــــــحِبَ الـــــــــدُجى"
"حـــــــــادٍ وَحَنَّـــــــــت بِـــــــــالفَلا وَجنـــــــــاءُ
وَاســـــــــتَقبَلَ الرِضـــــــــوانَ فـــــــــي غُرُفـــــــــاتِهِمْ"
"بِجِنـــــــــانِ عَـــــــــدنٍ آلُـــــــــكَ السُـــــــــمَحاءُ
خَيـــــــــرُ الوَســـــــــائِلِ مَـــــــــن يَقَـــــــــع مِـــــــــنهُم عَلـــــــــى"
"سَبَبٍ إِلَيكَ فَحَسبِيَ الزَهراءُ

محمود سامي البارودي

أَقِلَّا مَلامِي فِي هَوَى الشَّادِنِ الأَحْوَى

أَقِلَّا مَلامِي فِي هَوَى الشَّادِنِ الأَحْوَى فَقَلْبِي عَلَى حَمْلِ الْمَلامَةِ لا يَقْوَى
كَفَى بِالْهَوَى شُغْلاً عَنِ اللَّوْمِ بِامْرِئٍ بَرَاهُ الضَّنَى وَاسْتَمْطَرَتْ عَيْنَهُ الْبَلْوَى
فَلَيْسَ الْهَوَى سَهْلاً فَأَلْوِي عِنَانَهُ وَإِنْ كُنْتُ يَوْمَ الرَّوْعِ ذَا مِرَّةٍ أَلْوَى
هُوَ الْحُبُّ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَلَنْ تَرَى لَئِيماً يَنَالُ السَّبْقَ فِي الْفَضْلِ أَوْ يَهْوَى
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْوَى عَلَى دَفْعِ مَا أَتَى بِهِ الْحُبُّ مِنْ جوْرٍ وَسُلْطَانُهُ أَقْوَى
سَبُوقٌ إِذَا جَارَى لَحُوقٌ إِذَا هَوَى غَلُوبٌ إِذَا بَادَى قَتُولٌ إِذَا أَهْوَى
لَهُ سُورَةٌ لَوْ صَادَمَتْ رُكْنَ يَذْبُلٍ وَرَضْوَى لَهَدَّتْ يَذْبُلاً وَمَحَتْ رَضْوَى
فَحَتَّامَ يَلْحَانِي الْعَذُولُ عَلَى الْهَوَى أَلَيْسَ يَرَى مَا بِي فَيَجْتَنِبَ الشَّكْوَى
لَقَدْ سَامَنِي طَيَّ الْغَرَامِ وَمَا دَرَى بِأَنَّ الْهَوَى الْعُذْرِيَّ يَكْبُرُ أَنْ يُطْوَى
وَبِي بَلْ بِقَوْمِي الأَكْرَمِينَ خَرِيدَةٌ إِذَا سَفَرَتْ كَادَتْ لَهَا الشَّمْسُ أَنْ تَضْوَى
مِنَ الْغِيدِ كَحْلاءُ الْمَحَاجِرِ لَوْ رَنَتْ إِلَى القَسِّ فِي نَامُوسِهِ أَخْطَأَ النَّجْوَى
تُمِيتُ وَتُحْيِي مَنْ تَشَاءُ بِلَحْظِهَا فَمِنْ عَاشِقٍ يَحْيَا وَمِنْ عَاشِقٍ يَثْوَى
بَعَثْتُ لَهَا قَلْبِي عَلَى إِثْرِ لَحْظَةٍ فَمَا عَادَ إِلَّا وَهْوَ بِالْحُسْنِ مُسْتَهْوَى
وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي رِضَاهَا فَلَمْ أَنَلْ سِوَى رَاحَةٍ تَرْتَدُّ أَوْ عِدَةٍ تُلْوَى
وَأَصْبَحْتُ مَغْلُوبَ الرَّشَادِ وَقَلَّمَا يَعُودُ رَشِيداً صَالِحَ الْعَقْلِ مَنْ يَغْوَى
خَضَعْتُ لأَحْكَامِ الْهَوَى وَلَطَالَمَا أَبَيْتُ فَلَمْ أَخْضَعْ لِمَنْ يَهَبُ الْجَدْوَى
وَإِنِّي امْرُؤٌ لَوْلاَ الْهَوَى مَا وَجَدْتَنِي أَدِينُ لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ أَرْهَبُ الْعَدْوَى
بَعِيدُ مَنَاطِ الْهَمِّ تُرْهَبُ صَوْلَتِي إِذَا مَا دَجَا خَطْبٌ وَبَادِرَتِي تُرْوَى
لِسَانِي خَلُوبٌ فِي الْجِدَالِ وَصَارِمِي رَسُوبٌ وَرَأْيِي مِنْ سَمَاءِ الضُّحَى أَضْوَى
وَعِنْدِي إِذَا مَا الْحَرْبُ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا عَزِيمَةُ لَيْثٍ مَا تَهِرُّ وَمَا تُعْوَى
وَحِلْمُ كَرِيمٍ يَمْلأُ الْغَيْظُ قَلْبَهُ فَيَكْظِمُهُ وَالْحِلْمُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى
وَعِفَّةُ نَفْسٍ لا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَجُودٌ بِهِ ظَلَّتْ عُفَاةُ النَّدَى تَرْوَى
وَلِي هِمَّةٌ لَوْلا الْعَوَائِقُ مَهَّدَتْ يَدُ الْمَجْدِ فِي أُفْقِ السَّمَاءِ لَهَا مَثْوَى
بَلَغْتُ بِهَا بَعْضَ الْمُنَى غَيْرَ أَنَّنِي جَدِيرٌ بِأَنْ أَحْوِي بِهَا كُلَّ مَا أَهْوَى
فَإِنْ سَادَ غَيْرِي بِالْجُدُودِ فَإِنَّنِي بِهِمْ وَبِفَضْلِي رِشْتُ سَهْمِي فَمَا أَشْوَى
وَلَيْسَ عُلُوُّ النَّفْسِ بِالْجَدِّ وَحْدَهُ وَلَيْسَ كَمَالُ الْمَرْءِ فِي شَرَفِ الْمَأْوَى
إِذَا حَرَّكَتْنِي نَحْوَ أَرْضٍ وَتِيرَةٌ رَكِبْتُ لَهَا عَزْمِي وَإِنْ بَعُدَ الْمَهْوَى
فَإِنْ كَانَ سَوَّى الدَّهْرُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَرَى مِنْ بَنِيهِ فِي الْحُظُوظِ فَمَا سَوَّى

بَرِئْتُ مِنَ الْغِلِّ الَّذِي أَصْبَحَتْ بِهِ قُلُوبُهُمُ مِنْ شَرِّ مَا حَمَلَتْ تَدْوَى
نَصَحْتُ وَغَشُّوا وَاسْتَقَمْتُ وَرَاوَغُوا وَهَلْ مَنْ هَدَى بَيْنَ الأَنَامِ كَمَنْ أَغْوَى
وَإِنِّي إِذَا مَا الْخَطْبُ أَمْقَرَ طَعْمُهُ نَبَذْتُ بِهِ رَأْيَاً أَلَذَّ مِنَ السَّلْوَى
أَصَبْتُ كُلَى الأَحْدَاثِ حَتَّى تَرَكْتُهَا عَلَى جَمَرَاتِ الْغَيْظِ تَأْمُورُهَا يُشْوَى
وَصُغْتُ مِنَ السِّحْرِ الْحَلالِ قَصَائِدَاً تَظَلُّ بِهَا نَفْسُ الْمُعِيدِ لَهَا نَشْوَى
فَمَا قَيَّدَتْنِي لَفْظَةٌ دُونَ حِكْمَةٍ وَلا غَرَّنِي قَوْلٌ فَمِلْتُ إِلَى الدَّعْوَى
وَيَا طَالَمَا رُمْتُ الْقَوَافِي فَأَقْبَلَتْ سِرَاعاً فَلا أَرْوَى ذَكَرْتُ وَلا حُزْوَى
فَلا يَحْذُوَنَّ النَّاسُ حَذْوَ بَلاغَتِى فَأَقْرَبُ مَا فِى شَأْوِهَا الْغَايَةُ الْقُصْوَى

حافظ ابراهيم

(وُلد بأسيوط 1872

وتوفي بالقاهرة في 1932)

وَقَفَ الخَلقُ يَنظُرونَ جَميعاً

كَيفَ أَبني قَواعِدَ المَجدِ وَحدي
وَبُناةُ الأَهرامِ في سالِفِ الدَه رِ كَفَوني الكَلامَ عِندَ التَحَدّي
أَنا تاجُ العَلاءِ في مَفرِقِ الشَر قِ وَدُرّاتُهُ فَرائِدُ عِقدي
أَيُّ شَيءٍ في الغَربِ قَد بَهَرَ النا سَ جَمالاً وَلَم يَكُن مِنهُ عِندي
فَتُرابي تِبرٌ وَنَهري فُراتٌ

وَسَمائي مَصقولَةٌ كَالفِرِندِ
أَينَما سِرتَ جَدوَلٌ عِندَ كَرمٍ

عِندَ زَهرٍ مُذَنَّرٍ عِندَ رَندِ
وَرِجالي لَو أَنصَفوهُم لَسادوا

مِن كُهولٍ مِلءِ العُيونِ وَمُردِ
لَو أَصابوا لَهُم مَجالاً لَأَبدَوا

مُعجِزاتِ الذَكاءِ في كُلِّ قَصدِ
إِنَّهُم كَالظُبا أَلَحَّ عَلَيها

صَدَأُ الدَهرِ مِن ثَواءٍ وَغِمدِ
فَإِذا صَيقَلُ القَضاءِ جَلاها

كُنَّ كَالمَوتِ ما لَهُ مِن مَرَدّ
أَنا إِن قَدَّرَ الإِلَهُ مَماتي

لا تَرى الشَرقَ يَرفَعُ الرَأسَ بَعدي
ما رَماني رامٍ وَراحَ سَليماً

مِن قَديمٍ عِنايَةُ اللَهُ جُندي
كَم بَغَت دَولَةٌ عَلَيَّ وَجارَت

ثُمَّ زالَت وَتِلكَ عُقبى التَعَدّي
إِنَّني حُرَّةٌ كَسَرتُ قُيودي

رَغمَ رُقبى العِدا وَقَطَّعتُ قِدّي
وَتَماثَلتُ لِلشِفاءِ وَقَد دا نَيتُ حَيني وَهَيَّأَ القَومُ لَحدي
قُل لِمَن أَنكَروا مَفاخِرَ قَومي

مِثلَ ما أَنكَروا مَآثِرَ وُلدي
هَل وَقَفتُم بِقِمَّةِ الهَرَمِ الأَك بَرِ يَوماً فَرَيتُمُ بَعضَ جُهدي
هَل رَأَيتُم تِلكَ النُقوشَ اللَواتي أَعجَزَت طَوقَ صَنعَةِ المُتَحَدّي
حالَ لَونُ النَهارِ مِن قِدَمِ العَه دِ وَما مَسَّ لَونَها طولُ عَهدِ
هَل فَهِمتُم أَسرارَ ما كانَ عِندي مِن عُلومٍ مَخبوءَةٍ طَيَّ بَردي
ذاكَ فَنُّ التَحنيطِ قَد غَلَبَ الدَه رَ وَأَبلى البِلى وَأَعجَزَ نِدّي
قَد عَقَدتُ العُهودَ مِن عَهدِ فِرعَو نَ فَفي مِصرَ كانَ أَوَّلُ عَقدِ
إِنَّ مَجدي في الأَولَياتِ عَريقٌ مَن لَهُ مِثلَ أَولَياتي وَمَجدي
أَنا أُمُّ التَشريعِ قَد أَخَذَ الرو مانُ عَنّي الأُصولَ في كُلِّ حَدِّ
وَرَصَدتُ النُجومَ مُنذُ أَضاءَت في سَماءِ الدُجى فَأَحكَمتُ رَصدي
وَشَدا بَنتَئورَ فَوقَ رُبوعي قَبلَ عَهدِ اليونانِ أَو عَهدِ نَجدِ
وَقَديماً بَنى الأَساطيلَ قَومي فَفَرَقنَ البِحارَ يَحمِلنَ بَندي
قَبلَ أُسطولِ نِلسُنٍ كانَ أُسطو لي سَرِيّاً وَطالِعي غَيرَ نَكدِ
فَسَلوا البَحرَ عَن بَلاءِ سَفيني وَسَلوا البَرَّ عَن مَواقِعِ جُردي
أَتُراني وَقَد طَوَيتُ حَياتي في مِراسٍ لَم أَبلُغِ اليَومَ رُشدي
أَيُّ شَعبٍ أَحَقُّ مِنّي بِعَيشٍ وارِفِ الظِلِّ أَخضَرِ اللَونِ رَغدِ
أَمِنَ العَدلِ أَنَّهُم يَرِدونَ ال ماءَ صَفواً وَأَن يُكَدَّرَ وِردي
أَمِنَ الحَقِّ أَنَّهُم يُطلِقونَ ال أُسدَ مِنهُم وَأَن تُقَيَّدَ أُسدي
نِصفُ قَرنٍ إِلّا قَليلاً أُعاني ما يُعاني هَوانَهُ كُلُّ عَبدِ
نَظَرَ اللَهُ لي فَأَرشَدَ أَبنا ئي فَشَدّوا إِلى العُلا أَيَّ شَدِّ
إِنَّما الحَقُّ قُوَّةٌ مِن قُوى الدَي يانِ أَمضى مِن كُلِّ أَبيَضَ هِندي
قَد وَعَدتُ العُلا بِكُلِّ أَبِيٍّ مِن رِجالي فَأَنجِزوا اليَومَ وَعدي
أَمهِروها بِالروحِ فَهيَ عَروسٌ تَسنَأُ المَهرَ مِن عُروضٍ وَنَقدِ
وَرِدوا بي مَناهِلَ العِزِّ حَتّى يَخطُبَ النَجمُ في المَجَرَّةِ وُدّي
وَارفَعوا دَولَتي عَلى العِلمِ وَالأَخ لاقِ فَالعِلمُ وَحدَهُ لَيسَ يُجدي
وَتَواصَوا بِالصَبرِ فَالصَبرُ إِن فا رَقَ قَوماً فَما لَهُ مِن مَسَدِّ
خُلُقُ الصَبرِ وَحدَهُ نَصَرَ القَو مَ وَأَغنى عَنِ اِختِراعٍ وَعَدِّ
شَهِدوا حَومَةَ الوَغى بِنُفوسٍ صابِراتٍ وَأَوجُهٍ غَيرِ رُبدِ
فَمَحا الصَبرُ آيَةَ العِلمِ في الحَر بِ وَأَنحى عَلى القَوِيِّ الأَشَدِّ
إِنَّ في الغَربِ أَعيُناً راصِداتٍ كَحَلَتها الأَطماعُ فيكُم بِسُهدِ
فَوقَها مِجهَرٌ يُريها خَفايا كَم وَيَطوي شُعاعُهُ كُلَّ بُعدِ
فَاِتَّقوها بِجُنَّةٍ مِن وِئامٍ غَيرِ رَثِّ العُرا وَسَعيٍ وَكَدِّ
وَاِصفَحوا عَن هَناتِ مَن كانَ مِنكُم رُبَّ هافٍ هَفا عَلى غَيرِ عَمدِ
نَحنُ نَجتازُ مَوقِفاً تَعثُرُ الآ راءُ فيهِ وَعَثرَةُ الرَأيِ تُردي
وَنُعيرُ الأَهواءَ حَرباً عَواناً مِن خِلافٍ وَالخُلفُ كَالسِلِّ يُعدي
وَنُثيرُ الفَوضى عَلى جانِبَيهِ فَيُعيدُ الجَهولُ فيها وَيُبدي

وَيَظُنُّ الغَوِيُّ أَن لا نِظامٌ وَيَقولُ القَوِيُّ قَد جَدَّ جِدّي
فَقِفوا فيهِ وَقفَةَ الحَزمِ وَارِموا جانِبَيهِ بِعَزمَةِ المُستَعِدِّ
إِنَّنا عِندَ فَجرِ لَيلٍ طَويلٍ قَد قَطَعناهُ بَينَ سُهدٍ وَوَجدِ
غَمَرَتنا سودُ الأَهاويلِ فيهِ وَالأَمانِيُّ بَينَ جَزرٍ وَمَدِّ
وَتَجَلّى ضِياؤُهُ بَعدَ لَأيٍ وَهوَ رَمزٌ لِعَهدِيَ المُستَرَدِّ
فَاِستَبينوا قَصدَ السَبيلِ وَجِدّوا فَالمَعالي مَخطوبَةٌ لِلمُجِدِّ

عروة وعفراء

لبشارة الخوري (الأخطل الصغير)

(وُلد ببيروت 1885

وتوفي ببيروت في 1968)

مهد الغرام ومسرح الغزلان
حيث الهوى ضرب من الإيمان
يتعانق الروحان فيه صبابة ،
ويعفُّ أن يتعانق الجسدان
فإذا سمعت بعاشقين، فقل هما
ملكان متصلان منفصلان
ما دار ثم سوى الحديث، كأنّه
راح يدير كؤوسها الملكان

****

سل عروة بن حزام عن غصص الهوى
تسمع جواب فتى الغرام العاني
تحنان ساجعة الحمائم في الضحى
وزفير أعواد الجحيم الثاني
وله حديث ، كالدموع إذا جرت
جذبت نظائرها من الأجفان
علم الهوى ، من آل عذرة ، عروة !
كذب الألى قالوا لها علمان

***

ولد الفتى العذري عروة ، بعدما
دارت بوالده رحى الحدثان
فإذا بعروة في مضارب عمه
((هصر)) ، فكان هناك زغلولان
عفراء ، ابنته ، مع ابن شقيقه
وكلاهما في العمر دون ثمان
وإذا تضمهما الحقول ، فإنما
ظُفرت بمائستين من ريحان
يتراكضان بها – فإن هما بوغتا
فيها – فالأوراق يختبئان

ولطالما وقفا على الوادي وقد
صرخا هناك ليلتقي الصديان
لم يلبسا ريش الهوى لكنما
هو ريش أحلام وريش أماني
***
مزجاً ، فلو خطرت لعفراً فكرة ،
بدرت بها من عروة الشفتان
وإذا التقى النظران تلمع أسطر
يعيا بحل رموزها الولدان
حتى إذا كبرا تولى شرح ما
لم يفهما قلباهما الخفقان
فإذا الوداد هوى وصادف تربة
بكراً ، فطاب مغارساً ومجاني

ويح المحب إذا تملكه الهوى
نمت به عينان فاضحتان
عبثاً يحاول ذو الهوى كتمانه
عبث الهوى يقوى على الكتمان
فدرى به هصر – وكان يسؤوه ،
من عروة ابن شقيقه ، يتمان
وأهم يتمي عروة في عينه
يتم الغنى – لو يسمع الأبوان
فشكا ، إليه منه حب فتاته ،
شفتان تختلجان تختذلان
فأجابه هصر – وكان مخاتلاً –
ستنال من تهوى ، فكن بأمان
***
نعمى على كبد الفتى سقطت ، كما
سقط الندى سحراً على حران
فأحس أن له جناحي طائر
وبدت له زهر النجوم دواني
فجرى يرقص عوده الشعري على
صدر المروج ومعصم الغدران
فيصوغ هيمنة النسيم قصائداً
ويرد زمزمة الغدير أغاني
ما راعه إلا مقالة عمه :

إني أراك عن الغنى متواني
سر للشآم بمتجر .. فأطاعه
وعصى الفؤاد فظل في الأوطان
***
بينا الفتى في الشام يكدح للغنى
كانت حبيبته تزف لثاني
فتنت محاسنها أثالة وهو من
هصر له نسبان ملتزمان
نسب الدماء وفوقه نسب الغنى
نسبان محبوبان محترمان
فأناله عفراء ، صفقة تاجر
حسب البنات ملابساً وأواني

ما خطب هذا ، وهو أهول ما رأت
عين وما سمعت به أذنان
بأشد من قول الرواة لعروة:
عفراء أمست زوجة لفلان ...
خلع النحول عليه أفجع ما ارتأى
داء ، وأبلى ما اكتساه عان
سقم به مثلاً تناقله ، إلى
أقصى القبائل ، ألسن الركبان
***
ما حاضر الروحاء ، دون مناله
وخد السرى في الأمعز الصوان
ليحول دون فتى الهوى وفتاته
إن الهوى ضرب من الطيران
فمشى إلى أرض الحبيب ، دليله
عينان إنساناهما غرقان
يلقي القصائد في الطريق ، وحشوها
أنفاس مكلوم الحشا ، ولهان

ودرى أثالة أن عروة في الحمى
وبما بعروة من هوى وهوان
وأثالة رجل المحامد ، بيته

بيت الفخار وملتقى الضيفان
فابت مرؤته عليه ، أن يرى
رجلاً كعروة مبعداً متداني
فمشى إليه عاتباً : أتكون في
بلدي وليس لخيمتي وخواني ؟..
إني عزمت عليك أنك نازل
عندي ، وإلا ساءني حرماني
– عذراً فإني راجع لحوادث
نزلت بنا ما كن في الحسبان
لا عذر .. لا ، لا عذر – أنظرني إذاً
لغد – إذاً فجر النهار الثاني
وتفارقا ، فإذا بعروة رجمة
تهوي ، عليها انقض صاعقتان
وأشار نحو أثالة بجفونه :
سترى المروءة أننا كفؤان ..
هجر الديار لوقته ، تسعى به
قدمان هازلتان شاكيتان
هجر الديار ، ديار عفراء التي
طبعت حشاشته على الأحزان
حتى إذا وادي القرى رحبت به
رحبت بشلو لف في أكفان
جثمانه في القبر ، لكن روحه
أبداً مرفرفة على الوديان
***
رن النعي بأذن عفراء ، فهل
شاهدت غصناً من رطيب البان
لعبت به هوج العواصف ، فالتوى
متقصفاً و أصيب بالرجفان
هي مثله ، حاشا الدموع وأنة
من صدر محتضر به جرحان
فأتت أثالة ، والدموع سوابح ،
فتلثم الفضي بالمرجاني
قالت : لتعلم أن عروة كان لي
إلفاً ونحن وعروة حدثان
وعلمت أن هواه لا عن ربية
يخزى بها رجلي ويخفض شاني

هلا أذنت بأن أزور ترابه
أفما أبي وأبو الفتى أخوان ؟ ..
– من ذا يمانع أن تفيه حقه
سيري . فما هي غير بعض ثوان
حتى رأيت بقبر عروة بانة
محنية – وا لهفتا للبان ...

والهفتاه؛ وبم تتم كلامها

حتى ارتمت فإذا هنا ميتان

ضموا الفتاة إلى الفتى في حفرة
من فوقها غصنان ملتفان
روحان ضمما الهوى فتعانقا
وتعاهداً فتعانق الكفنان
***

وقفنا عند مرآه

رشيد أيوب

(وُلد في لبنان 1871

وتوفي بنيويورك في 1941)

وقَفَنَا عند مرآه	حَيَارَى ما عرَفنَاهُ
عجِيبٌ فى مَعانيهِ	غريبٌ فى مَزَاياهُ
لَهُ سِربالُ جوّابِ	غُبارُ الدّهر غشّاهُ
وَوَجهٌ لَوّحَتهُ الشم	سُ غارَت فِيهِ عينَاهُ
سألنَا الناسَ مَن هذا	فقالوا يعلمُ اللهُ
فلا ندري بما فيهِ	ويسهو إن سألنَاهُ
كأن فى صدره سرٌّ	وذاك السرّ ينهاهُ
إذا ما جَنّهُ ليل	ترَامَت فِيهِ نجوَاهُ
فيرعى النجمَ إذ يَبدو	كأنّ النجمَ مَغنَاهُ
تَرَاهُ إن سرَى بَرقٌ	تمَنّاهُ مَطَاياهُ
وإن أصغى لصَوتِ النّا	ي أشجَاهُ وأبكاهُ
إذا أعطيتَهُ شيئاً	أبت جَدواكَ كفّاهُ
وفى الدّنيَا لأهليهَا	حُطامٌ ما تمنّاهُ
ألا يا ساكنى الدّنيَا	تعالوا استنطقوا فاهُ
سلوهُ ربّما المسكين	سوء الحظّ أقصاهُ
فقالوا إنّهُ صَبّ	وفرطُ الحُبَّ أضنَاهُ
وقالوا شاعرٌ يَشكو	فما تُجديهِ شَكواهُ

وقالوا زاهدٌ لمّا	رأوه عافَ دُنيَاهُ
ومنهم قال درويشٌ	غريبٌ ضاعَ مأواهُ
سألنَاه بلا جَدوى	وولَّى ما عرفناهُ

سفر أيوب

بدر شاكر السياب

(وُلد بقرية جيكور بالعراق 1926
وتوفي بالكويت في 1964)

لك الحمد مهما استطال البلاء
ومهما استبدّ الألم،
لك الحمد، إن الرزايا عطاء
وان المصيبات بعض الكرم .
ألم تُعطنى أنت هذا الظلام
وأعطيتنى أنت هذا السّحر؟
فهل تشكر الأرض قطر المطر
وتغضب إن لم يجدها الغمام؟
شهور طوال وهذي الجراح
تمزّق جنبى مثل المدى
ولا يهدأ الداء عند الصباح
ولا يمسح اللّيل أو جاعه بالردى .
ولكنّ أيّوب إن صاح صاح :
»لك الحمد، ان الرزايا ندى،
وإنّ الجراح هدايا الحبيب
أضمّ إلى الصّدر باقاتها
هداياك فى خافقى لا تغيب،
هداياك مقبولة. هاتها «!
أشد جراحى وأهتف
بالعائدين :
»ألا فانظروا واحسدونى،
فهذى هدايا حبيبى

وإن مسّت النار حرّ الجبين
توهّمتُها قُبلة منك مجبولة من لهيب .
جميل هو السّهدُ أرعى سماك
بعينىّ حتى تغيب النجوم
ويلمس شبّاك داري سناك .
جميل هو الليل: أصداء بوم
وأبواق سيارة من بعيد
وآهاتُ مرضى، وأم تُعيد
أساطير آبائها للوليد .
وغابات ليل السُّهاد، الغيوم
تحجّبُ وجه السماء
وتجلوه تحت القمر .
وإن صاح أيوب كان النداء :
»لك الحمد يا رامياً بالقدر
ويا كاتباً، بعد ذاك، الشّفاء «!
*
لندن 1962/12/26

علي جعفر العلاق

سيّدة الفوضى

من أين جاءت
هذه السيدة؟
فحركت
غدراننا الراكدة؟
الم يصح
فى وجهها عاذل
الم تخف من ريحنا الباردة؟
نشهد أنّا ما رأينا هوى
مثل هواها
قيل ألقت بها
قبيلة، ألقى بها مركب
مطارد
بل قيل ألقت بها
سحابة
خفيفة
صاعدة
يقال
أو قيل
ولكنها
أشاعت الفوضى
كما تشتهى
وأجرت الريح

كما تشتهى
وأيقظت
قطعاننا كلها
وأشغلتنا
دفعة واحدة ...
من أين
جاءت تلكم السيدة؟
وأين غابت
تلكم السيدة؟
قالت
وداعا
ثم لم تلتفت
لريحنا المهمومة
الباردة....

الشعر

حين فاجأنى الحلم
وانكسرت سعفة الغيم
طاردنى الشعر
طاردته
هاربا
من دخان يديه
والتجأت إلى الجن ....

أضرمت الجن فى جسدي النار
أهدت رمادي
إليه.....

الميت

شعر :عزت الطيري

خرج من المقبرة
وجد البيت تهدم
والزوجـة
صارت زوجاَ
لعدوه
والأولاد اقتتلوا
حتى الموت على الميراث
ورفاق الحانة والسوء اتعظوا
واعتصموا
بصلاة وسجود
وعيال الشارع صاروا آباء
لعيال يجرون وراءه
ويصيحون
المجنون
المجنون !!
فانسل
وحيدا
واتجه الى المقبرة
تدثر بتراب
والموتى يندهشون
يصيحون
المجنون
المجنون

نظر إلى وجه الماء
فشاهد صورته تتلألأ
أعجبه الشكل ، فخطف الصورة
من وجه الماء وطار!! ...

محمود مغربي

تأملات طائر

قـــــــديماً ..
قـــــــدَّمَتْ فتنتهـــــــــا
للصـــــــــبية الصـــــــــغارِ
للصـــــــوصِ ..
لعـــــابرِ الســـــبيلِ ..
واليـــــومَ ..
لا أحـــــــذْ ..
لا أحـــــــذْ ..
فقـــــطْ ..
بعـــــضُ ذكـــــرى ..
وصـــــمتٌ طـــــويلْ !

***

الصـــــــــباح
الـــــذى كـــــم تباهـــــتْ بـــــه
تمامًـــــــا تلاشـــــــى
رغـــــم ذلـــــك ..
لســـــــــلطانِهَا
ســـــطوةٌ فـــــى قلـــــبِ عُشّـــــاقِها !

***

طـــــــــائرى العنيـــــــذْ
مـــــــا زال يبحـــــــثُ
عـــــــن شُـــــــجيْرَةٍ
ونافـــــــذةْ ..

ليـــــــبدأَ الغنـــــــاءْ !

***

شـــــــــــــهرَزادْ
ودَّعَـــــــــــتْ بســـــــــــتانَها
حكاياهـــــــــــــا
رغـــــــم ذلـــــــكْ ..
تُهَنـــــدسُ المســـــاءَ فـــــى هـــــدوء !

***

إلـــــــــى حَتْفِـــــــــهِ يمضـــــــــى
إلا مـــــــــن جِراحِـــــــــهِ
وبقايـــــــا حَـــــــرَسْ !

***

الصـــــــــبابةُ ..
خبأهـــــا الحُـــــرَّاسُ فـــــى الخـــــرابْ ؛؛
لا شـــــمعَةٌ هنـــــاكْ ..
لا رفيـــــــقْ !

***

ناديـــــــــتُ يـــــــا ســـــــــحابةْ
أمطـــــــرى ..
خُـــــــذى نصـــــــفَ عمـــــــرى

وأمطـــــــــــرى فقـــــــــطْ
لأُنْقِـــذَ مـــا تبقَّـــى مـــن صِـــبَاى !

***

الســـــــــــــندبادُ
فـــــارعُ اليـــــدين فـــــى منفـــــاهُ ..
يُســـــــائِلُ الجمـــــــوعْ :
مَـــــنْ يُعيرنـــــــى قيثـــــارةً ..
كـــــى أرمّـــــمَ مـــــا تبقّـــــى مـــــن جَنـــــاحْ !

***

النـــــاسُ فـــــى كـــــلَّ مـــــرّةٍ ..
يَسْـــــــرقونَ الخُبْـــــــزَ ..
وأنـــــتَ هنـــــاكَ تســـــرقُ النـــــارَ ..
تشـــــــــــعلُ عتمـــــــــــةً
تســـــــــــتعيدُ الصـــــــــــغارَ
واحـــــــــــدًا
واحـــــــــدًا ..
كيما تعيدُ للبستانِ رَقصتهْ !

صلاح عبدالصبور

زيارة الموتى

زرنـا موتانـا فـي يـوم العيـد
وقرأنـــا فاتحـــة القـــرآن،
ولملمنـا أهـداب الـذكرى
وبسطناها في حضن المقبرة الريفية
وجلسـنا، كسـرنا خبـزاً وشـجوناً
وتســاقينا دمعــاً و أنينــاً
وتصـافحنا، وتواعـدنا، وذوي قربانـا
أن نلقـــى موتانـــا
فـــي يـــوم العيـــد القـــادم .
يـــا موتانـــا
كانـــت أطيـــافكم تأتينـــا
عبـر حقـول القمـح الممتـدة
ما بين تلال القرية حيث ينام الموتى
و البيت الواطئ في سفح الأجران
كانـت نسـمات الليـل تعيـركم ريشـاً
ســـــحرياً

موعـــدكم كنـــا نترقبـــه
فـي شـوق هدهـده الاطمئنـان
حـين الأصـوات تمـوت،
ويجمـد ظـل المصـباح الزيتـي علـى
الجـــــدران
سنشم طـراوة أنفاسكم حـول الموقد
وسنسـمع طقطقـة الأصـوات كمشـي
مـــلاك وســـنان
هـل جئـتم تأتنسـون بنـا؟
هـل نعطـيكم طرفـاً مـن مرقـدنا؟
هـل نـدفئكم فينـا مـن بـرد الليـل؟
نتـدفأ فـيكم مـن خـوف الوحـده
حتـى يـدنو ضـوء الفجـر،
و يعلـو الـديك سـقوف البلـدة
فنقول لكم في صوت مختلج بالعرفان

عـــودوا يـــا موتانـــا
سندبر في منحنيات الساعات هنيهات

نلقـاكم فيهـا، قـد لا تشـبع جوعـاًن أو
تـــــروي ظمـــــأ
لكـــن لقـــم مـــن تـــذكار،
حتـــى نلقـــاكم فـــي ليـــل آت .
مرت أيام يا موتانا ، مرت أعوام
يا شمس الحاضرة الجرداء الصلدة
يـــا قاســـية القلـــب النـــار
لـم أنضـجت الأيـام ذوائبنـا بلهيبك

حتـى صـرنا أحطـاب محترقـات
حتـــى جـــف الـــدمع الـــديان
علـــى خـــد الـــورق العطشـــان
حتـــى جـــف الـــدمع المســـتخفي
فـــي أغـــوار الأجفـــان
عفـــواً يـــا موتانـــا
أصـبحنا لا نلقـاكم إلا يـوم العيـد
لمـــا أدركـــتم انـــا صـــرنا
أحطاباً فـي صـخر الشـارع ملقـاة
أصـبحتم لا تـأتون إلينـا رغـم الحـب
الظمـــــــآن
قـد نـذكركم مـرات عبـر العـام
كما نذاكر حلماً لم يتمهل في العين
لكـن ضـجيج الحاضـرة الصـخرية
لا يعفنا حتـى أن نقرأ فاتحـة القرآن
أو نطبـع أوجهكـم فـي أنفسـنا، و نلـم
ملامحكـــــم
ونخبئهـــا طـــي الجفـــن .
يـــــا موتانـــــا
ذكـــراكم قـــوت اللقـــب
فـــي أيـــام عـــزت فيهـــا الأقـــوات
لا تنســـونا .. حتـــى نلقـــاكم

لا تنسونا .. حتى نلقاكم

عبدالرحمن الأبنودي

يامنه

والله وشبت ياعبدالرحمن
عجزت ياواد؟
ما اسرع..؟
ميتى وكيف ؟
عاد اللي يعجز في بلاده
غير اللي يعجز ضيف!!
هلكوك النسوان؟
شفتك مره بالتلفزيون
ومره وروني صورتك في الجورنال
قلت : كبر عبدالرحمن!
أمّال أنا على كده
مت بقى لي ميت حول!!
والله أنا خايفة ياولدي القعدة تطول
مات الشيخ محمود
وماتت فاطنة اب قنديل
واتباع كرم (اب غبان(
وانا لسه حية
وباين صاحية كمان .. وكمان!!
عشت كثير..
عشت إلـ حد ما شفتك عجزت يا عبد الرحمن
وقالولي .. قال : خلفت!!
وانت عجوز خلفت ياخويا ؟!!
وبنات كمان ..؟
امال كنت بتعمل ايه
طيلة العمر اللي فات؟
دلوقت مافقت؟
وجايبهم دلوك تعمل بيهم ايه ؟
على كلٍ..
أهي ريحة من ريحتك ع الارض
يونسوا بعض...
ماشي ياعبدالرحمن!..
اهو عشنا وطلنا منك بصة وشمة.

دلوك بس..
ما فكرت فـ) يامنه (وقلت (ياعمة)؟
حبيبي انت ياعبدالرحمن
والله حبيبي .. وتتحب
على قد ما سارقاك الغربة
لكن ليك قلب
مش زي ولاد الكلب اللي نسيونا زمان!!
حلوه مرتك .. وعويلاتك ؟
والا شبهنا ؟
سميتهم ايه؟
قالولي : (أية .. ونور(
ماعرفتش تجيب لك حتة واد ؟
والا اقولك:
يعني اللي جبناهم..
نفعونا في الدنيا بإيه ؟
غيرش الانسان مغرور!!
ولسة يامنه حتعيش وحتلبس
لما جايب لي قطيفة وكستور؟
كنت اديتهمني فلوس
اشتري للركبة دهان
أ با ي ما مجلع قوي يا عبدالرحمن
طب ده انا ليا ست سنين
مزروعة في ضهر الباب
لم طلوا عليا احبة ولا اغراب
خليهم .. ينفعوا .. اعملهم اكفان
كرمش .. وشي!!
فاكر يامنه .. وفاكر الوش؟
اوعى تصدقها الدنيا
غش فـ غش!!
اذا جاك الموت ياولدي
موت على طول
اللي تخطفوا فضلوا احباب
صاحيين في القلب
كأن ماحدش غاب
واللي ماتوا حته .. حته ونشفوا
وهم لسه حيين

حتى (سلام عليكم(
مش بتعدي من بره الاعتاب!!
اول مايجيك الموت ... افتح
اول ما ينادي عليك .. اجلح
انت الكسبان...
اوعى تحسبها احساب
ولا واد .. ولا بت
ده زمن .. يوم مايصدق .. كداب!!
سيبها لهم بالحال والمال وانفد
اوعى تبص وراك
الورث تراب
وحيطان الايام طين
وعيالك .. بيك مش بيك عايشين!!
يووووه يازمن
مشوار طولان..
واللي يطوله يوم عن يومه ياحبيبي
حمار!!
****
الدواء عاوزاه لوجيعة الركبه
مش لطوالة العمر
اوعى تصدق الوانها صفر وحمر
مش كنت جميلة ياواد...
مش كنت .. وكنت وجدعه
تخاف مني الرجاله
لكن فين شفتوني
كنتو عيال!!
بناتي (رضية) (ونجية) ماتوا وراحوا
وانا اللي قعدت
طيب يازمان!!
اوعى تعيش يوم واحد بعد عيالك
اوعى ياعبدالرحمن
في الدنيا وجع وهموم اشكال الوان
الناس مابتعرفهاش
اوعدهم
لو حتعيش بعد عيالك ماتموت
ساعتها بس.

حتعرف ايه هو الموت
اول مايجي لك نط
******
لسه بتحكي لهم بحري
حكاية (فاطنه وحراجي القط)؟
آ باي .. ما كنت شقي وعفريت
من دون كل الولدات
كنت مخالف...
براوي
وكنت مخبي في عنيك السحراوي
تمللي حاجات
زي الحدايه..
تخوي الحاجه وتطير.
من صغرك بصوافر واعره
ومناقير!!
بس ما كنت كداب
وادِيني استنيت بالدنيا
لما شعرك شاب!!
****
قدم البيت
اتهدت قبله بيوت وبيوت
واصيل هوه
مستنيني لما اموت
حاتيجي العيد الجاي
واذا جيت..
حاتجيني الجاي؟
وحاتشرب مع يامنه الشاي؟
حاجي ياعمه..
وجيت...
لا لقيت يامنه ولا البيت!!

حمدي منصور
شاعر الناس
أ.د. محمد أبوالفضل بدران
– جامعة جنوب الوادي
badranm@hotmail.com

1-1

"الشعر إخراج القول غير مخرج العادة" هكذا عرّف ابن رشد الشعر ؛فهو الفن الذي حوّل الكلمات العاديّة إلى أدبية النص المتمثل في الشاعرية، وربما كان تعريف ابن رشد أصدق مدخل نقدي لشعر الشاعر حمدي منصور الذي عندما نسمعه أو نقرؤه نفاجأ أن الشاعرية لديه سرٌّ من أسراراللغة تخوّل له تحويل ألفاظها المستعملة بيننا إلى نص شعري مبهر ؛ بيد أنه يخدعنا حين نظن أن كلامه يخرج مخرج العادة ..... فكيف نتأمل صورة شعرية يقول فيها:

"ومين انت يا شبه محنيه

أنا بعت عقدي

و عقدي طوله بلاد

كسيت بجلدي الولاد"

إنه يكسو بجلده الأولاد ؛هذه المغايرة في تحويل اللفظ إلى دلالة أخرى تختزل الجمل والتراكيب, إنه يخيط جلده كسوة للأولاد, فى صورة تبدو صادمة لكنها معبرة عن حال البلد وحالة الشاعر.

قيمة الصورة الشعرية تتمثل فيما تؤثره في المتلقي، حيث تنقل الكلام عبر الانزياح الدلالي إلى ما قصده الشاعر من تأثير؛ ومن ثم فالصورة أخذ المتلقي إلى فضاء مغاير يشكّله الشاعر ويتخيله المتلقي مشاركا إبداع الشاعر في قصيدته ، لأن الشاعر لن يستطيع التحكم في خيال المتلقي حيال صوره الشعرية.

في مفردات حمدي منصور نلمح الناس والبيئة، ومكونات البيئة هنا ليست خلفية القصيدة بل هي أجزاء أساسية في النص ؛لأنه لا يرى الأشياء من برج عاجي بل يتعايش معها، يحس بها فتغدو البيئة إنسانا في القصيدة يرى ويتكلم ويحس ؛ فحمام البنّيّة والقُلّة والزقايب وصوت الحبوب والسواقي والرحايا – التي يراها عجلة الحياة التي تدوسنا– وريح البحر

والطرحة والعتمة والديك واللقمة والجان والغيطان وستاير خيوط الشمس والرمال والحصى وطير البراري وبيت من طين والفروجة صدر العريان؛ كل ذلك مفردات تتحرك في فضاء القصيدة لديه تشكّل أعمدتها ولا نستطيع تفكيك القصيدة دون فهم هذه المفردات ووضعها في الفسيفساء الشعرية التي ينظم عقدها الإيقاع وتنسجها الصور الشعرية البِكر.

2-1

في قصيدته "الليل"

"الليل

الليل جدارْ

إذا يدّن الديك

من عليه

يطلع نهارْ

و تنفلت من قبضة الشرق

الحمامة البيضه

ف لون قلب الصغارْ

آه يا حبيبتي يا أم

قصة مهفهفه

قلبي اللي مرعوش الأمان

لسه بيحلم بالدفا

و اللقما كلمة طيبه

و فيها الشفا

قلبي اللي قرّب يموتْ

لسه بيحلم بالبيوتْ "

تبدو الغنائية الحزينة ذات حضور طاغ في القصيدة التي تعتمد على المقاطع القصيرة والإيقاع السريع والتقفية المردوفة بما تضفيه حروف المد من آهات مكلوم، وليل حمدي منصور مختلف فهو جدار يؤذن عليه الديك فيولد النهار ؛ وأما قلبه مرعوش الأمان فمايزال يحلم بالدفء والخبز والمسكن ، لكن الشاعر مايزال متمسكا بالحلم:

"قلبي اللي قرّب يموتْ

لسه بيحلم بالبيوتْ "

من الواضح أن الغناء في شعره لبنة الأساس التي يأتي الإيقاع منبئا عنها؛ ويعتمد على التقفية المتغيرة في القصيدة الواحدة ، فنرى القافية خيط القصيدة التي ينتظم المعنى بسرها.

3-1

لدى الشاعر حمدي منصور يقين بالثورة ، ويتخذ من الفجر رمزا لها، يتغنى بالفجر ويراه قريبا

أنا بعشقك يا فجر

"يا فجر ياللي جاي

جاي من عذاب الفقرا

و من أنين الناي

و من أزيز الرياح

و من الغنا و النواح

أنا بعشقك في البدور

عيون بتعشق نور

عيون اهي بتدور

في كل عين سكين

و في كل عين وردة

و في كل عين مشوار

وفي كل عين سكة

و للشموس مدار

و للعذاب ضحكة

و بنعشقك يا فجر يا للي جاي"

الفجر حلم الشاعر الذي ينتظره لأن "الولد" سيجئ فيه ، هذا الولد الذي ينتطره المجموع آتيا على جواد الفجر المحمل بأنات الناس وعذابهم وأحلامهم وآلامهم.

وفي قصيدته الرائعة "امشير" نرى ذلك الشهر المحمل بالعواصف والرياح القوية والتغيرات المتوقعة، وكأن حمدي منصور يستشرف الثورة:

"سكي الببان

عليكي الأمان

عليا الأمان

وبرا امشير

زوابع وجان

ع الباب شتا

يهز السلوك

يبعتر ع الأرض

ورق البنوك ..... "

يوظف الشاعر الإيقاع السريع الذي يذكرنا بضربات القدر في سيمفونية بيتهوفن,هذا الإيقاع المتلاحق كضربات السكين المتتابعة يهز حروف القصيدة وصورها بين يدي المتلقي الذي يأسره حمدي منصور في صوره ومفرداته.

والخوف من المجهول يجعله يشفق على المحبوبة؛لكنه يطلب من المحبوبة أن تتجلى بالثورة:

" و امشير بره

يطوح في شجرةالغيطان

يهز السلوك والورق والعيدان

تطول الضفاير

وتصبح ستاير

ستاير خيوط الشموس

ف يناير والحرارير

توسع عنيكي

عليا وعليكي

و راسك تطول

النجوم والعمايير

و امشير يشيلك

يحطك يشيلك

يجيلك ويمشي

ويمشي يجيلك

ويندر بذور

الخصوبة في جيلك "

أمشير هنا هو الثورة التي تبناها حمدي منصور , ستقتلع جذور النباتات المتعفنة لتلقي بذور الثورة في الأجيال الجديدة؛ و يلجأ الشاعر في قصائده إلى محاكاة الأغاني الشعبية مما ينقل المتلقي إلى روح الشعب في رحم التلقائية الغنائية لتأخذ المتلقي إلى فضاء النص الشعبي التراثي ليستشعر أن ما يسمعه نص قد سمعه من قبل , لأن التراث قاسم مشترك بينهما , كأن الشاعر في أغنية لعبة قديمة شعبية:

" ساعديني و اساعدك

و اكسر سواعدك ..... "

إنه يخاف من "امشير " لكنه يتمنى أن يقتلع الأشرار؛ إن امشير يقرع الأبواب قرعا ، والشاعر:

"عنيا يمامه

وقلبى حمامة

وصدري نيران

و جوايا شارع وحارة وبيان"

4-1

يختزل الشاعرُ الشارعَ المصري كله قبيل الثورة؛ فالسكينة ظاهرة على وجوه الناس لكن النيران تشتعل في صدورهم، وهذا ما يصفه فى قصيدته "ع الباب شتا"

"و باطك ف باطى

مانيش احتياطي

وعمري ما اطاطي

وعمري ما اخون

وبصْدق ف قولي

وشعري وشجوني"

ربما كان هذا المقطع الشعري السابق معبرا عن الشاعر أصدق تعبير فلن ينحنى لحاكم قط ،ولن يخون نفسه وشعبه لأنه صادق في قوله و شعره و حزنه .

ويصف حال مصر في مقطع قصير:

"في الصدر خنجر دم
وفي الوشوش العدم
وفي العيون الخوف
وعدم الشوف
وع الخدود دمعة دم"

ديوان

"ما على العاشق ملام" ص25

ويصف الشعب الذي يناديه:

"يا شعب يا غلبان و يا طيب
باهديك قلبي و عيوني و دراعي
و ليك وللنشيد على درب الحياه ساعي
اوجاعك يا شعب هي أوجاعي
يا شعب يا عشقي و يا صبا
بـ اناديك ..... أناديك
و انا ف الفجر ديك
أنا المجنون
أصرخ واقول يا شعب
كله ف حبك يهون"

شعب الشاعر هم الفقراء الذين يعيش من أجلهم ،وهم طيبون لكنهم يحلقون في السماء فهو شاعر الناس :

"ناسي فقرا
فقرا
فقرا
يرضعوا من بز القمره
يطلعوا بنهار يبقوا شعرا

ناسي فقرا
فقرا

فقرا"

ديوان

"ما على العاشق ملام" ص 19

وإذا كان الديك مؤذنا بالفجر فالشاعر يؤذن لصباح الثورة بعد هذا الظلام "وياجي شروقك ف ساعة الغروب" و تنتظر مصر الفجر الذي طال غيابه

"يا فجر يا للي جاي

جاي من عذاب الفقرا

و من أنين الناي

و من أزير الرياح

و من الغنا والنواح....

و بنعشقك يا فجر ياللي جاي"

لدى الشاعر يقين بمجىء الفجر ,كم كنت أتمنى لو أن الشاعر أصدر هذا الديوان المخطوط "يا أرضى ياحبيبتى " مطبوعا قبل الثورة لأن إرهاصات الثورة وهبّة الجموع تكاد تكون مرئية أمام عيني الشاعر الذى صار أزرق الكنانة كزرقاء اليمامة فى قومها.

5-1

حضور الموت

يشكّل حمدى منصور الصور الكلية التى تعتمد على انزياح الدلالات

"الليل فينا نهار

قمره قصير العمر ف غنأنا

و ف رعشة الشغيلة جوه الطار

.....

اول ما بنشوف قناديل الديار

يعلا صوتنا بالغنا حتى سنه

يربطو لنا ع الطريق اليتامى والصغار

يعزمونا ع العشا و ع الفطار

و احنا أهوه

نجمه تهدينا لبلد

و ديار تاخدنا ف ديار

زي المحطة و القطار"

فـى الصـورة تبـدو لوحـة الرحيـل , فـالموت يطغـى علـى قصـائد حمـدى منصـور لكنـه لـيس قلقـا مـن مجيئـة بـل يتعجـب مـن قصـر الحيـاة "قمـره قصير العمر ف غنانا" هذا الترحال التائه يعبر عن فلسفة الشاعر تجاه الوجـود و العـدم ,فهـو "ديـار تاخـذنا فـى ديـار زي المحطـة والقطـار"؛ والمحطـة والقطـار بدايـة الرحلـة ونهايتهـا؛ فـالتوظيف الـدلالي للمحطـة فـى الأدب فى حاجة إلى دراسة :فهى مذرف الدموع للوداع ، والتلويج بالأيدى مـن الـواقفين علـى أرصـفة المحطـة عنـدما يتحـرك القطـار و تنـزل الـدموع لأن القطار يتلاشى بعيدا غير آبه بالدمع والفراق ,وإذا كـان القطـار يحمل القادمين فإنه لا يرى القدوم سوى مؤذن بالرحيل ,ألم يقل الشاعر القديم:

"وما كان يبكينى اللقاء وإنما

وراء الملاقى لاح ظلّ المودعِ "

المحطـة ملتقـى الأحبـة ومفرقـة الأحبـة أيضـا ؛إنهـا نقطـة التلاشـى بـين الشيئين ؛إنهـا رمـز الحيـاة والمـوت , و الشـاعر مهمـوم بالنقطـة ؛ مهمـوم بالأشياء صغيرة العمر .

"قلبي من غير غطا

من غير لحاف

برداااان

ميت ومش لاقيين كفان"

ديوان "ما على العاشق ملام" ص 8

6-1

يتكـئ حمدي منصـور علـى التـراث الفرعوني والـديني ففـي قصـيدته "الولـد" يوظف التراث الفلكلوري في انتظار الولد الذي لا يجئ

"لفي له الخرزة على قورته

تحفظه م العين

واطلقي ف وشه البخور
في صبيحة الجمعة
و ف ليلة الـ...اتنين
لففيه زاير
شربيه من مية البير الشريفة
ملسي بيده على توب القطيفه"

ديوان "ما على العاشق ملام" ص 23

ويعد الشاعر مظاهر الفلكلور التي تصاحب مولد الولد /البطل المنتظر، فالجميع في لهفة لمولده ، وأما الأم فهي ناعسة مرة وإيزيس مرة أخرى؛ ففي قصيدة "الأم" يقول:

"وانتي كما ناعسة
بتلفي ....تلفي
وما تكفّي في بلاد الدنيا
وف غمضة عين وف ثانية
بتدوّري على دوا وأطبا
بعيون غُرَبا
ولما مات أبويا بتلمي أشلاؤه م التربة
بعيون غُرَبا
يا أمي يا ناعسة،
يا صبر ياأيوب"

ديوان "ما على العاشق ملام" ص 39

هذا الاستدعاء التاريخي للشخصيات يحيل ذهن المتلقي إلى إيزيس وناعسة بكل معنى الوفاء والتحمل.

7-1

يبدو حمدى منصورمهموما بأناه ,والأنا هنا ليست الأنا العالية إنما هى "الأنا/المجموع " التى يعبر بها عن الشعب:

"إن كان بينام النجم

ف بطن الليل
عيني ما تغفل ولا تقفل
ولا تسكت جوايا المواويل
يجرى جوايا القول يجرى
زى ما يجرى الحافى
ف ساعة قيل
زي ما يرمح خيّال من تحته الخيل"

ديوان "ما على العاشق ملام" ص 11

تعبير الشاعر هنا عن مخاض القصيدة، فالقول يغرفه من بحر يجري القول على فيه كما يجري الحافي في ساعة القيلولة بحثا عن ظلال تقيه حرارة الشمس التي تكوي قدميه في تشبيه معبّر غير مألوف؛ كما قال ابن رشد: "الشعر إخراج القول غير مخرج العادة".

المصادر:

حمدي منصور: ما على العاشق ملام، ديوان شعر ، ط.الهيئة العامة لقصور الثقافة.(د.ت.)
حمدي منصور: يا أرضي يا حبيبتي، ديوان شعر ،(تحت الطبع)